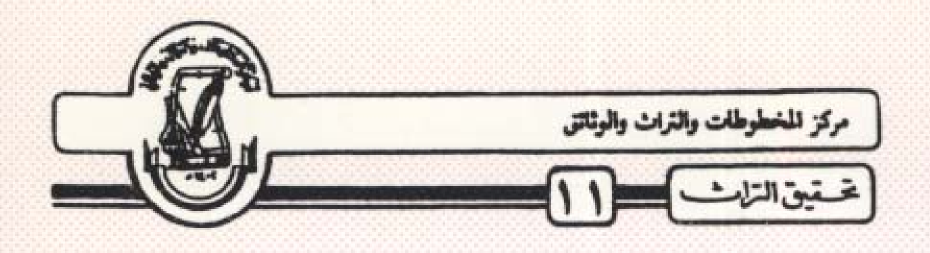




تأليف

نجم الدين مختار بن محمود

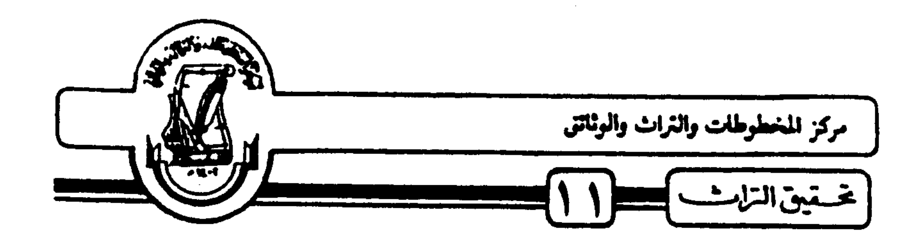
الزاهدي

المتوفى سنة ٦٥٨هـ = ١٢٦٠م

حققها وعلق عليها

محمد المصري

منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق
الكويت
٣٩





تأليف

نجم الدين مختار بن محمود

الـــزاهـــــــدي

المتوفى سنة ٦٥٨هـ = ١٢٦٠م

حققها وعلق عليها

محمد المصري

منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق

الكويت

٣٩

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م



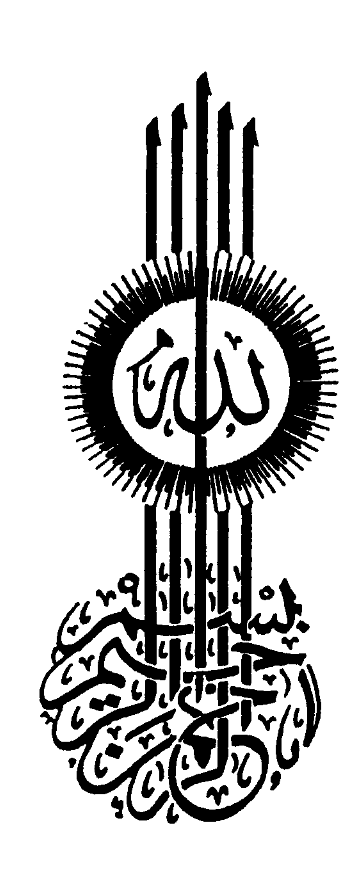
منشورات

مركز المخطوطات والتراث والوثائق

ص.ب ٣٩٠٤ الصفاة 13040 الكويت

هاتف: ٥٣٢٠٩٠٠ - ٥٣٢٠٩٠١

ناسخ: ٥٣٢٠٩٠٢



الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد.

هذه الرسالة الناصرية لنجم الدين مختار بن محمود الزاهدي المتوفى سنة ٦٥٨هـ = ١٢٦٠م. وهو من أكابر أئمة الحنفية في القرن السابع الهجري، وله مصنفات عدة تصل إلى تسعة عشر مصنفاً في علوم المذهب والسنة.

سبب تأليف هذه الرسالة هو:

- في الدلالة على حقِّيَّة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وذكر شيء من معجزاته.
- في ذكر المخالفين لنبوته عليه السلام والرد عليهم.
- في المناظرة بين المسلمين والنصارى ونصرة من أضحوا للإسلام أنصاراً. ومناظرة بين شيخ مسلم هو الباقلاني وقساوسة النصارى.

يقول المؤلف: «أردت أن أكتب رسالة باسمه المبارك الميمون، الخاقان بركة خان، من ملوك الترك قديماً، وأذكر فيها حجج الملة الحنيفية، وجواب كل سؤال يرد عليها جليٍّ أو مكنون ليبقى ذكره ما بقي الدين، ودعاؤه وشكره على ألسنة المسلمين، وحمده وثناؤه بأسهل الألفاظ والمعاني، ليصل كل ناظر فيه إلى المقاصد منه والمعاني، وذكرت بعض وجوهها وأجوبة شبه المبطلين فيها على مذاق ولاة العصر ورسومهم، وموافقة طاعتهم واحكامهم وعلومهم».

فهذه الرسالة مع صغر حجمها إلا أنها قد ردت على شبه المخالفين للإسلام.

أمـا عن محقق الكتاب فهو الأستاذ محمد المصري وسبق أن طبع له المركز كتابه «البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة» للفيروزابادي عام ١٩٨٧م، وهو الإصدار الأول للمركز، والثاني هو كتاب «تاريخ مولد العلماء ووفياتهم» لأبي زبر الربعي.

ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق.

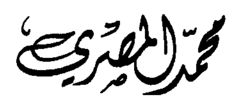
محمد بن إبراهيم الشيباني
مدير عـام مركز المخطوطات والتراث والوثائق

تمهيد للمحقق :

هذه رسالة لطيفة لعالم جليل من علماء القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، عرض فيها دلائل ثبوت سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ، وردَّ فيها على المخالفين ، وأجاب عن الشُّبَه التي يَصِمُوْنَ بها الدين الإسلامي الحنيف ، وأورد مناظرتين عُقدتا بين علماء من المسلمين والنصارى ، طُرحت فيها الآراء والشُّبَه ، ورُدَّ عليها بالحجة الداحضة ؛ وأسلوب القراع بالدليل والبرهان خير نهج لنشر الإسلام ، وقهر معارضيه وإقناعهم ، وتثبيته في نفوس المسلمين وسنٍّ طُرُق الدعوة إلى الله .

ولعل في نشر هذه الرسالة اليومَ لأول مرة مضبوطةً منقحةً مشروحةً تحقيقاً للغاية التي صبا إليها مؤلفها ، في عصرٍ نحن أحوج ما نكون إلى استخدام سلاح العقل والمنطق والبرهان ، في عصر العلم والاختراع .

والله من وراء القصد



مؤلف هذه الرسالة :

هو الإمام العلاَّمة نجم الدين، أبو الرجاء، مختار بن محمود الزاهِدِيّ، الغَزْمِيني، المعروف بالزاهدي، وبصاحب «القُنْيَة».

والغَزْميني : نسبة إلى غزمين، وهي إحدى قَصبات خُوارزم، وخُوارزم (أو خَبْوة) بلاد تقع على نهر أمودريا الأسفل في تركستان الروسية اليوم.

لم نجد ترجمة مفصلة وافية له في أي مصدر وقفنا عليه من مصادر ترجمته، فلم نقف على تاريخ مولده ومكانها، ولا على سيرته وما إلى ذلك. وجلُّ ما وجدناه في هذه المصادر لا يتعدى بضعة أسطر بها في ذلك مصنفاته. من أجل ذلك حاولنا ضمَّ ما تفرق من شذور أخباره في مصادرها في قرن، ومحصول ذلك :

كان من أكابر الأئمة، وأعيان الفقهاء، عالماً، كاملاً له اليد الباسطة في الخلاف بين المذاهب، والمذهب الحنفي، والباع في علم الكلام والمناظرات، وتصانيفه سارت بها الركبان[1].

تفقّه عل سديد بن محمد الخناطي[2]، وبرهان الأئمة محمد بن عبد الكريم التركستاني[3] الخوارزمي وقرأ علم الكلام[4] على سراج الدين، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكّاكي[5] الخوارزمي، وقرأ الحروف والروايات القرآنية على الشيخ رشيد

---

(١) انظر ثبت مصنفاته بعد قليل.

(٢) هو سديد بن محمد الخناطي الخوارزمي، المحتسب، علاء الدين، أبو علي بن أبي سابق بن طاهر، شيخ الإسلام: كان عارفاً بالفقه والحديث (ترجمته في الفوائد البهية ص٧٨ والجواهر المضية ج١ / ٢٤٦)، ونسبته في كتاب (تلخيص مجمع الآداب ج٤ ق٢ ص١٠٨١) الخياطي خلافاً للمصادر الآخرى، فلعل ذلك تصحيف.

(٣) ذكر القرشي في الجواهر المضية ٢ / ٨٥ اسمه ونسبته فقط.

(٤) علم الكلام: علم يقتدر به على إثبات الحقائق الدينية بإيراد الحجج عليها، ودفع الشُّبَه عنها، وموضوعه عند المتأخرين إثبات العقائد الدينية وما يتعلق بها (انظر مفتاح السعادة ٢ / ١٥٠).

(٥) وهو عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان وغير ذلك. له تصانيف منها (مفتاح العلوم) ولد سنة ٥٥٥هـ =

الدين القُنْدي[1] ، وعلى صدر القراء يوسف بن محمد الخوارزمي .

وأخذ الأدب عن شرف الأفاضل : وتتلمذ على القاضي فخر الدين بديع بن أبي منصور العراقي . واستصفى من كتابه (مُنْيَة الفقهاء) كتاباً سماه (قُنْيَة المنْية لتتميم الغُنية) .

وعلى برهان الدين ناصر بن عبد السيد الخُوارزمي المُطَرِّزي[2] .

وكان يعرف لغة خوارزم ، لأنه خُوارزمي ، وتتلمذ على أشهر علمائها ، فنقل ما جاء في كتاب (منية الفقهاء) من ألفاظ بهذه اللغة إلى العربية .

ولما بلغ رتبة الكمال في العلوم رحل إلى بغداد ، وناظر الأئمة والفضلاء ، ثم بلغ بلاد الروم ، وتوطن بها مدةً ، ودارس فيها الفقهاء .

ولما بلغ رتبة العلماء انصرف إلى التأليف فيما أتقن من علوم كالفقه والفرائض وغير ذلك .

= = ١١٦٠م وتوفى سنة ٦٢٦هـ = ١٢٢٩م (ترجمته في تاج التراجم ص: ٦٠ و الفوائد البهية ص٢٣١ و الجواهر المضية ج٢ ص٢٢٥) .

(١) لم أقف على ترجمة له .

(٢) كان أديباً وعالماً باللغة ، ومن فقهاء الحنفية . ولد في جرجانية خوارزم سنة ٥٣٨هـ = ١١٤٤م وتوفي بخوارزم سنة ٦١٠هـ = ١٢١٣م وهو صاحب (الإيضاح) و (المغرب في ترتيب المعرب) وغير ذلك . وهو تلميذ الزمخشري . (ترجمته في معجم الأدباء ١٩/ ٢٦٢-٢٦٣ والأعلام ٨/ ٣١١) .

مصنفاته :

وهذه مصنفاته مرتبة وفق حروف الهجاء :

١ - تخريج مسائل الفرائض : مخطوط. منه نسخة في مكتبة تشستربيتي في ١٩ ورقة[١] .

٢ - الجامع في الحيض (أو رسالة في الحيض): مخطوط. منه نسخة في مكتبة تشستربيتي في ١٨ ورقة[٢] .

٣ - جواهر الفقه : مخطوط. ذكر كارل بروكلمان نسخاً منه في دار الكتب الوطنية بباريس وليبزيغ[٣] .

٤ - الحاوي في الفتاوي : مخطوط. ذكر بروكلمان نسخه المخطوطة[٤]. وقال عنه حاجي خليفة[٥] : «حاوي مسائل الواقعات والمنية، وما تركه في تدوينه من مسائل القنية وزاد فيه من الفتاوي لتتميم القنية. مجلد، أوله: الحمد لله الذي أوضح معالم العلوم . . . ذكر فيه منية الفقهاء، وأنه استصفى لبابها، وبدّل ما وقع فيها من لسان خوارزم إلى العربية، ورقم أسامي الكتب والمفتين بأول حروفها، وذكرها على ترتيب الحروف أولاً» .

٥ - الدرر والغرر في الفرائض[٦] . لعله الذي تقدم بعنوان (تخريج مسائل الفرائض) .

٦ - رسالة في ذكر المخالفين لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والجواب عن شبههم[٧] .

٧ - رسالة في المناظرة بين المسلمين والنصارى، وذكر أسئلتهم؛ قال عنها حاجي

---

(١) انظر فهرس معهد المخطوطات ص٤٥٧ .

(٢) انظر فهرس معهد المخطوطات ص١٠٠ .

(٣) انظر تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ج١ ص٤٣٥ وملحقه ١/٦٥٦ .

(٤) انظر تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ج١ ص٤٧٥ .

(٥) في كشف الظنون ص٦٢٨ .

(٦) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان .
انظر فهرس معهد المخطوطات ص٤٥٩

(٧) كشف الظنون ص: ٨٦٦ .

خليفة[1]: «وهي رسالة جيدة» ولعلها الرسالة التي ذكرها المؤلف في (الرسالة الناصرية).

٨ ـ الرسالة الناصرية: وهي التي بين أيدينا. وسيأتي حديث مفصل عنها.

٩ ـ رسالة وبهذا الإسناد في الحديث: (هكذا ورد عنوانها في كشف الظنون ص٨٩٧).

١٠ ـ زاد الأئمة في فضائل خصيصة الأمة[2]، وسماه كارل بروكلمان: زاد الأئمة لما فيه من خصائص هذه الأمة) وذكر نسخة مخطوطة منه في مكتبة باتنا برقم ٤٥٨.

١١ ـ شرح مختصر القدوري (أو المجتبى). قال عنه اللكنوي[3]: «شرح نفيس نافع» وذكر غيره أنه في أصول الفقه.

أما مختصر القدوري فهو كتاب في فروع الفقه الحنفي (لا في أصول الفقه) للإمام أبي الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي المتوفى سنة ٤٢٨هـ «وهو متن معتبر متداول بين الأئمة الأعيان، وشهرته تغني عن البيان، وهو الذي يطلق عليه (الكتاب) في الفقه الحنفي»[4]. وقد شرحه كثير من العلماء منهم الإمام الزاهدي، وقال حاجي خليفة عن هذا الشرح: «هو شرح نفيس في ثلاث مجلدات» وهو اليوم مطبوع متداول.

١٢ ـ الصفوة: في أصول الفقه. ذكره ابن قاضي شهبة. وابن قطلوبغا، والكشف[5]. مخطوط[6].

١٣ ـ الفرائض، ويسمى (فرائض الزاهدي)، ولعله (الدرر والغرر) و(تخريج مسائل الفرائض) السابقين مخطوط. ومنه نسخة في مكتبة تشستربيتي في (١٠٢) ورقة[7].

---

(١) كشف الظنون ٨٩٧.

(٢) كشف الظنون: ٩٤٥.

(٣) انظر الفوائد البهية ص٢١٣، وفهرس دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفي ١/٤٤٢.

(٤) كشف الظنون ص١٦٣١.

(٥) انظر كشف الظنون ص١٠٨٠.

(٦) فهرس معهد المخطوطات ص٤٥٩.

(٧) فهرس معهد المخطوطات ص ٤٥٧، ٤٦٤.

١٤ ـ كتاب الفضائل: أي فضائل شهر رمضان. قال فيه صاحب (كشف الظنون)[١]. ذكر فيه أنه جمع فيه فضائل رمضان ليكون عوناً في المجالس والمواعظ، فوجد الوظائف المتعلقة بهذا الشهر عشراً:

الأولى فضائل علي رضي الله عنه.

الثانية: فضائل التراويح.

الثالثة: فضائل صلوات كل ليلة.

الرابعة: فضائل الصوم.

الخامسة: فضائل دعوات الصوم.

السادسة: فضائل نية الصوم.

السابعة: فضائل صلوات كل يوم.

الثامنة: فضائل خدمة المرأة.

التاسعة: فضائل الخبر العام فيه.

العاشرة: فضائل مسائل الصوم لكل يوم.

وذكر بروكلمان نسخه المخطوطة[٢]

١٥ ـ فضل التراويح[٣]: لعله فضلة من كتاب (الفضائل) السابقة الذكر.

١٦ ـ قُنية المنية لتتميم الغُنْية، على مذهب أبي حنيفة؛ وكلام حاجي خليفة عنه يماثل ما قاله عن كتاب (الحاوي) المتقدم الذكر.[٤].

إلا أن اللكنوي ذكر أنه طالع (المجتبى)، شرح القدوري، و (القنية) فوجدهما على المسائل الغريبة حاويين[٥]، وهو اليوم مطبوع.

وقد لخصه بعضهم وكل ملخصه: «البغية في تلخيص القنية».[٦] كما

---

(١) كشف الظنون ص ١٤٤٦، ١٤٤٧.

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي ج١ ص٤٧٥ وفهرس المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات، الفقه الحنفي ج١ ص٢٧٠.

(٣) انظر كشف الظنون ص١٢٧٨ وهدية العارفين ٢/٤٢٣.

(٤) انظر كشف الظنون ص١٣٥٧.

(٥) انظر الفوائد البهية ص٢١٣.

(٦) انظر كشف الظنون ص١٣٥٧.

اختصره محمود بن أحمد المعروف بابن السراج المتوفى سنة ٦٧٠هـ[١]. ونسخ (القنية) المخطوطة كثيرة موجودة. [٢]

ـ المجتبى: انظر شرح مختصر القدوري.

١٧ ـ المصابيح: في دار الكتب الظاهرية بدمشق مخطوطة مجهولة المؤلف، فيها مختارات من كتاب عنوانه (المصابيح) لنجم الدين الزاهد، ومن (الأصول) للزبير بن العوام، وأدعية مأثورة. ومن قام بهذه الاختيارات مجهول، وتقع هذه المخطوطة في أربع ورقات فقط. [٣] فلعل كتاب (المصابيح) للزاهدي.

١٨ ـ المنية، وما تركه في تدوينه من مسائل (القنية)، وزاد فيه من الفتاوي لتتميم (الغنية). هذا ماجاء في كتاب (هدية العارفين)[٤] ولعله كتاب (القنية) المتقدم الذكر.

١٩ ـ أخيراً وعد المؤلف بتأليف كتاب يجمع معجزات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إن مد الله في أجله، لأنه اقتصر في (الرسالة الناصرية) هذه على ذكر بعض معجزاته، فهل عاجلته المنية قبل أن يحقق أمله؟ علماً بأنه صنف (الرسالة الناصرية) سنة ٦٥٨هـ وتوفي في السنة نفسها، ولم تذكر مصادر ترجمته كتاباً أو رسالة له في هذا الموضوع[٥].

---

(١) انظر كشف الظنون ص١٣٥٧.

(٢) منه تسع في دار الكتب الظاهرية بدمشق ونسختان في تشستر بيتي، ونسخة في كل من مكتبة حسن حسني عبد الوهاب، ودار الكتب القطرية، والمكتبة الإسلامية في يافا.

(٣) انظر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ المجاميع. المجموع رقم ١٣٦٥ عام.

(٤) الجزء الثاني ص ٤٢٣.

(٥) جاء في (كشف الظنون) أنه أتم تأليفها سنة ٦٥٠هـ ولعله أخذ هذا التاريخ من صلب (الرسالة الناصرية) كما سيأتي وهو يخالف ما جاء في خاتمتها.

مصادر ترجمته :

أما المصادر التي أوردت ترجمة له أو ذكرت بعض مصنفاته فقد وفقنا بعد بحث وتنقيب على الكتب الآتية منسوقة وفق حروف الهجاء :

* الأعلام لخير الدين الزركلي ـ الطبعة الرابعة الجزء ٧ الصفحة ١٩٣ .
* الإعلام بتاريخ أهل الإسلام لابن قاضي شهبة ـ مخطوطة مكتبة فيض الله ، الورقة ١٥١ أ ـ وفيات سنة ٦٥٨هـ .
* تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ـ الطبعة الألمانية ـ الجزء الأول ص٣٨٢ وملحقه ج١ ص٦٥٦ .
* تاج التراجم لابن قطلوبغا ص: ٥٤ .
* الجواهر المضية للقرشي ج٢ ص ١٦٦-١٦٧ .
* الدليل الشافي لابن تغري بردي ج٢ ص٧٣٠ .
* الفوائد البهية للكنوي ص ٢١٣
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ـ الصفحات: ٥٧٧ ، ٦٢٨ ، ٨٦٦ ، ٨٩٣ ، ٨٩٥ ، ٨٩٧ ، ٩٤٥ ، ١٠٨٠ ، ١٢٤٧ ، ١٢٧٨ ، ١٣٥٧ ، ١٤٤٦ ، ١٥٩٢ ، ١٦٣١ ، ١٩٢١
* معجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ص٩٦١ .
* معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج١٢ ص٢١١ .
* مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاشكبري زاده ج٢ ص٢٧٩ .
* المنهل الصافي لابن تغري بردي .
* الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ١١٢/٤ (جزء مخطوط لم يطبع بعد ذكره عمر رضا كحالة في كتابه معجم المؤلفين في مصادره)
* هدية العارفين للبغدادي ج٢ ص٤٢٣ .

هذه الرسالة :

أما هذه الرسالة التي هي محط القصد فعنوانها (الرسالة الناصرية) وهي في إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الرد على المخالفين، وعلى طائفة من النصارى. وهذا العنوان كتب على غلاف المخطوطة وفي ختمتها. وجاء أيضاً في مصادر ترجمة المؤلف، أما في مقدمتها فقد جاء العنوان (الرسالة الناصرة) فلعله تصحيف الناسخ.

وجاء فيها ما يفيد أنه صنفها سنة ٦٥٠ للهجرة إذ قال: «وقد مضى من عصر النبوة ستمئة وخمسون[1]، وهذا التاريخ أخذ به حاجي خليفة[2]. ولكن ماجاء في ختمتها أجلى وأقرب إلى الدقة وهو: «تمت الرسالة الناصرية يوم السبت الواحد والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٥٨هـ » وهو التاريخ الذي أخذت به مصادر ترجمته، وبعد ذلك تاريخ النسخ. وقد توفي المؤلف سنة ٦٥٨هـ أيضاً فلعلها آخر مصنفاته.

وقد اشتملت هذه الرسالة على مقدمة وثلاثة أبواب:

فالمقدمة موجزة جاءت تمهيداً وتوطئة، وذكر فيها غايتين من تصنيفها، وصرح فيها أنه كتبها باسم الخاقان بركة خان[3] الذي نشر العدل والفضل والإحسان وأولوية الإسلام فقال: «أردت أن أكتب رسالة باسمه المبارك الميمون، وأذكر فيها حجج الملة الحنيفية، وجواب كل سؤال يَرِدُ عليها جليٍّ أو مكنون ليبقى ذكره مابقى الدين، ودعاؤه وشكره على ألسنة المسلمين، وحمده وثناؤه بأسهل الألفاظ والمباني، ليصل كل ناظر فيه إلى المقاصد منه والمعاني، وذكرت بعض وجوهها وأجوبة شُبَه المبطلين فيها على مذاق ولاة العصر ورسومهم، وموافقة طاعتهم وأحكامهم وعلومهم».

---

(١) انظر الورقة ٤أ من هذه المخطوطة (أرقام ورقات المخطوطة على هامش هذه الطبعة).

(٢) في كشف الظنون: ٨٩٥.

(٣) الخاقان: لقب الملك من ملوك الترك قديماً، والآن يقال له خان.

وقد ذكر القرشي أبوابها في كتابه (الجواهر المضية) في الجزء الثاني ـ الصفحة ١٦٧ وحاجي خليفة في كشف الظنون ـ الصفحة ٨٩٥. وهذه الأبواب هي:

الباب الأول : في الدلالة على حَقِّيّة رسالة.

الباب الثاني: في ذكر المخالفين لنبوته والجواب عن شُبَهَهم.

الباب الثالث: في المناظرة بين المسلمين والنصارى وأسئلتهم العلمية والعامية والأجوبة عنها.

اتضح الغرض من تأليف هذه الرسالة، والمنهج الذي ارتضاه المؤلف. وواضح أنه قارع المخالفين الرأي بالرأي، والحجة بالحجة، وذكر فيها مناظرتين بين المسلمين والنصارى. الأولى مناظرة أبي بكر الباقلاني لقيصر الروم[(١)]، والثانية مناظرة شيخ اسمه واصل لبطاركة الروم وقيصرهم[(٢)] والثالثة مناظرة موجزة جرت بينه وبين أحد ملوك النصارى فأسلم.[(٣)]

وليس بدعاً تأليف هذه الرسالة على هذا الوجه في ذلك العصر. والمؤلف متقن علوم القرآن والفقه والكلام، قادر على القراع والمحاجة بل هو واجب.

أما أسلوب الرسالة فسهل ممتع رشيق مقنع جذاب، يروق لكل قارئ إذ ليس فيها تَقَعُّر ولا معاظلة ولا ثِقل.

وما أحوج المسلمين في كل عصر ومصر إلى أمثال هذه الرسالة ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ويتسلحوا بسلاح المقارعة والحجاج. للرد على كل ما يطرحه غير المسلمين وبعض المسلمين من شُبَه وتهجمات.

---

(١) انظر الورقة ١٥ب ـ ١٦أ ـ المخطوطة.

(٢) انظر الورقة ١٧أ ـ ١٩أ ـ المخطوطة.

(٣) انظر الورقة ١٢أ ـ المخطوطة.

وصف المخطوطة:

وقفت على نسخة مصورة من مخطوطة فريدة من هذه الرسالة كانت محفوظة في المكتبة العثمانية الموجودة في مكتبة الأوقاف بمدينة حلب في المجموع رقم ٦٥٨ ـ أصول شغلت فيه الأوراق ١٨٧أ حتى ٢١٢ب، وهي االيوم في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

تقع هذه المخطوطة في ٢٦ ورقة كتبت بخط فارسي جيد سنة ٩٩٦هـ . وهي نسخة تامة، سليمة من العيوب التي تعيب المخطوطات القديمة عادةً، فلا نقص فيها ولا خروم ولا آثار أَرَضَة ولا غير ذلك. وقد خلت أيضاً من أخطاء النساخ الفاحشة، وما وقع فيها فهو نادر.

ولم يذكر الناسخ اسمه ولا مكان النسخ، وأثبت في ختمتها ما كتبه المصنف (تمت الرسالة الناصرية باسمه الميمون يوم السبت الواحد والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٥٨هـ) إضافة إلى (ووقع الفراغ من كتابته في صفر الخير سنة ٩٩٤هـ) فلعله انتسخها من نسخة المصنف.

ولم نقف على أي نسخة أخرى تساعد في التحقيق فاكتفينا بهذه النسخة لجودتها وكمالها.

التحقيق :

سلكت في تحقيق هذه الرسالة المنهج التالي :

* نسخت المخطوطة ، ووضعت علامات الترقيم ، وضبطت معظم الألفاظ بالحركات عوناً للقارئ، وصححت الأخطاء الطفيفة التي وقع فيها الناسخ .

* شرحت الألفاظ التي رأيت في شرحها فائدة، وعَلَّقْتُ على بعض العبارات .

* خرّجت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

* عرّفت بالأعلام والأماكن .

* قدّمت لها بمقدمة فيها حديث عن المؤلف ومؤلفاته ، وعن هذه الرسالة خاصة .

أخيراً أرجو الله أن أكون قد وفِّقْتُ في تحقيق هذه الرسالة ، وأن ينفع بها قارئها ، وأن يجزل لي الأجر والثواب في الدنيا والآخرة ، ويثيب ناشرها ، وأن يهدينا إلى سواء السبيل ، هو حسبي ونعم الوكيل .



في إثبات نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
وفي الرد على المخالفين
وفي الرد على طائفة من النصارى

للإمام

نجم الدين

الـــزاهـــــدي

صاحب القنية رحمه الله

[illegible] الله الرحمن الرحيم

[illegible] بعث الرسل بالبينات والمعجزات الباهرة وبعوثهم [illegible]

[illegible] من الشبهات الى ان بعث محمدا ارسله الى رواحم [illegible]

[illegible] الى قومهم الارسيه خصوصا الى فضل

[illegible] المبعوث الى كافة الامم العرب والعجم [illegible]

[illegible] الا ما حسن البشر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب [illegible]

[illegible] العرب المكنى بابي القاسم والذي جلى بانوار

[illegible] مساعيه ولدا الرسالة هام الشرف [illegible]

[illegible] الامام المحقق والحبر المدقق مهذ قوانين الفقه

[illegible] آدم الى البشر نجم الملة والدين ابو الرجاء

[illegible] الاصحي قدس الله روحه ونور ضريحه

[illegible] انوار العلم الفضل والاحسان واشرق عالم الكائنة

[illegible] الايمان وشرعيه الوية الاسلام بعد انطوائها

[illegible] الفضل والديانة انوار جبونها بعد انطفائها

[illegible] اعظم سلاطين الاسلام واكرم خواقين الانام برتكخان

[illegible] الذي رفع باسلامه اعلام الملة الحنيفية

بعد

لما تحقق عندي ان الذي نفذ الى المعارف الاسلامية مفروض حقوقها
من اطلع على معالم الدين المائته. واظهر شعائر الحق الفائته. ونصر
الاسلام على اليهودية والنصرانية. وقدم الحق الابلج والسبيل
الاوضح الابيض على الرهبانية. اردت ان اكتب رسالة باسمه
السلطان الملك الميمون. واذكر بها كل حجج الملة الحنيفية وجواب
كل سؤال يرد عليها جلي او مكنون. ليبقى ذكره ما بقي الدين ودعاؤه
ونحوه على السنة المسلمين وحمده وثناؤه. باسهل الالفاظ والمباني
ليصل كل ناظر فيه الى المقاصد منه والمعاني. وذكرت بعض وجوهها
والاجوبة بسببه المصطلحين فيها على مذاق ولاة العصر ورسومهم وموافقة
طباعهم ما حكاه علماؤهم. وسميته الرسالة الناصرة. فاستخرت الله تعالى
في ان يوفقني بعونه لاتمامها. ويعصمني عن الخطأ فيها والزلل الا احتجاجا
فيشتمل هذا الكتاب على ثلاثة ابواب. الباب الاول
في الدلالة على حقية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذكر شيء من معجزاته
الباب الثاني في ذكر المخالفين للنبوة والجواب عن شبههم
الباب الثالث في المناظرة بين المسلمين والنصارى
واسئلتهم العلمية والعامية والاجوبة عنها
اعلم ان سيدنا محمد عليه السلام رسول حق ونبي صادق ارسله الله تعالى

فاذا قلنا انبانا الولي العزيز الحكيم حكمة بالغة ترحيباً [illegible]
وتقديم اشياء للرأي من عقل الفلاسفة [illegible]
عن قضايا العقول ان يكون صالحا للكل [illegible]
الى الاصل ولا [illegible] الا [illegible] الفلاسفة [illegible]
فكذا الواجب [illegible] ولا [illegible] بطريق النعمة
[illegible] ان يتعلق بجميع هذا فصله النصيب [illegible]
[illegible] الربانية [illegible] غير الوقوف على مقاصدها الحقة
[illegible] الحاكمين والثالث ان يجي داخلا وملائما
على الفطرة والقوانين والنواميس مشروعة كافة
[illegible] ملائمة على حسنها والحكم الربانية لا
[illegible] في غاياتها العقول العقلاء ولا يقف على
[illegible] الاوهام [illegible] على ان هناك العبادات
والطاعات في ديننا او فوق العقول السليمة واقرب
الى الطباع المستقيمة مثل الاخبار بكلمات العظمة
والكبرياء والشهادة بوحدانية رب الارض والسماء
وحقية رسوله والحث على الفلاح وطاعته دون
ضرب خشبة تمجه الاسماع وتنبو عنه الطباع ومثل

رعية البالغة في التطهير والتنظيف والانقاء والاستنجاء
بالحجر بالماء ومثل الاغتسال من الجنابة والحيض والنفاس
والغسل لمجامع الناس كالجمعة والعيدين والاحرام
ومثل السواك والمضمضة والاستنشاق والذكر لله باللسان
وروايات الاحاديث وقراءة القرآن ومثل توزيع الصلوات في اوقات
[illegible] وشرعيتها اذانا في الفلوات والقرى والامصار و
[illegible] الاعمال القلوب واللسان والاركان والتسبيح والتهليل والتحميد
والتكبير والتقديس والتمجيد والخشوع والخضوع في القيام والقعود
والسجود والركوع وفضائل هذا الدين اكثر من ان تحصى واطول
من ان تحد وتستقصى ويظهر للعبد ان هذا الدين اسهل واحسن
الوسيلة الى السعادة العظمى بالنسبة الى المذهبين [illegible]
وعادات بالاسلام الحقيقي كافة العرب والعجم [illegible]
قواعد مملكته في الدارين بالظهور و[illegible]
في العقبى [illegible]
تمت الرسالة [illegible]

الحمد لله باعث الرسل والأنبياء بالمعجزات القاهرة، ومؤيدهم بالبينات والحجج والصلوات الزاكيات متواصلة إلى أرواحهم القدسية، والتحيات الناميات متوالية إلى نفوسهم الإنسية، خصوصاً إلى أفضل البشر الشفيع المشفع في المحشر، المبعوث إلى كافة الأمم، العرب منهم والعجم، المخصوص بمكارم الأخلاق وأحاسن الشيم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، المنتقى من لباب سادات العرب، المكنى بأبي القاسم، الذي جلا بأنوار وجنته ظلمات الجهالة، وانتقل بمجاهداته في أداء الرسالة هام الشرف والجلالة.

أما بعد: فيقول الإمام المحقق، والحبر المدقق، ممهد قوانين الفقه والنظر، مبين مشكلات بني آدم إلى البشر، نجم الملة والدين، أبو الرجاء مختار بن محمود المعروف بالزاهدي قدس الله روحه، ونوّر ضريحه: لما انتشر في المعمورة أنوار العدل والفضل والإحسان، وأشرق عالم الطاعة والعبودية بأشعة الإيمان، ونشرت فيه ألوية الإسلام بعد انطوائها، وأعيدت إلى أشباح الفضل والديانة أنوار جُبُونها[1] بعد انطفائها، بميمون همة أعظم سلاطين الإسلام، وأكرم خواقين الأنام[2]، بركة خان[3] المخصوص بعناية الرحمن، الذي رفع بإسلامه أعلام الملة الحنيفية / بعد خفوقها، وردَّ إلى المعارف الإسلامية مفروض حقوقها، وأحيا معالم الدين المائتة، وأظهر شعائر الحق الفائتة، ونصر الإسلام على اليهودية والنصرانية، وقدم الحق الأبلج، والسبيل الأوضح الأبهج على الرهبانية، أردت أن أكتب رسالة باسمه المبارك الميمون، وأذكر فيها كل حجج الملة الحنيفية، وجواب كل سؤال يرد عليها جليٍّ أو مكنون، ليبقى ذكره ما بقي الدين، ووعاؤه وشكره على ألسنة المسلمين، وحمده وثناؤه بأسهل الألفاظ والمباني، ليصل كل ناظر فيه إلى المقاصد منه والمعاني، وذكرت بعض وجوهها، وأجوبة شُبَه المبطلين فيها

---

(١) لعل المراد جمع (جبين). وجمع الجبين في القاموس المحيط: أَجْبُن، وأجبنة، وجُبُن.

(٢) خواقين: جمع خاقان، وهو اسم علم، ولقب ملك الترك قديماً واسم ملك خقَّنة الترك على أنفسهم: أي ملّكوه ورأّسوه، وهي كلمة دخيلة استعملها العرب (متن اللغة).

(٣) حفيد جنكيز خان، ومن الأمراء، حارب هولاكو، وتبادل الوفود مع السلطان الملك ظاهر بيبرس، ساعد على نشر الإسلام في بلاده.

على مذاق ولاة العصر ورسومهم، وموافقة طباعهم وأحكامهم وعلومهم؛ وسميته «الرسالة الناصرية»(*) فاستخرت الله تعالى في أن يوفقني بعونه لإتمامها، ويعصمني عن الخطأ فيها والزلل إلى اختتامها، فيشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في الدلالة على حقية رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، وذكر شيء من معجزاته.

الباب الثاني: في ذكر المخالفين لنبوته، والجواب عن شُبَهِهِم.

الباب الثالث: في المناظرة بين المسلمين والنصارى، وأسئلتهم العلمية والعامية، والأجوبة عنها.

(*) في الأصل المخطوط: «الرسالة الناصرة» ولكن في خاتمة هذه الرسالة «الرسالة الناصرية» وعنوانها في المصادر «الرسالة الناصرية» أيضاً.

الباب الأول: [في الدلالة على حَقِّيَّة محمد صلى الله عليه وسلم، شيءٍ من معجزاته]

اعلم أن سيدنا محمد بن عبد الله رسول حق ونبي صادق، أرسله الله تعالى إلى كافة الثقلين: الإنس والجن، والعرب والعجم، أهل الكتاب والأميين إلى يوم القيامة، وبرهانه أنه ادعى الرسالة من الله تعالى إلى الثقلين إلى يوم القيامة، وقد شهد الحكيم على وفق دعواه بإظهار المعجزات عليه موافقه لدعواه عقيبها؛ وكل من ادعى الرسالة، وظهرت المعجزات عليه وفق دعواه عقيبها فهو نبي صادق، ورسول حق. وهذه ثلاث دعاوى:

إحداها: أنه ادعى الرسالة إلى الثقلين.

والثانية: أنه ظهرت المعجزات عليه.

والثالثة: من ظهرت عليه المعجزات فهو رسول صادق.

أما الدعوى الأولى فقد ثبت بالتواتر، وهو إخبار طوائف كثيرة يستحيل اتفاقهم على الكذب عادةً من الأولياء والأعداء أن محمداً ادعى هذه الرسالة: أنه مبعوث إلى الثقلين إلى يوم القيامة، وأنه خاتم النبين، والتواتر يفيد العلم الضروري، كالتواتر في عدل أنوشروان، وسخاء حاتم، وشجاعة علي رضي الله عنه.

وأما بيان الثانية: فهو ظهور المعجزات القاهرة عليه، وهو القرآن المعجز الذي عجز فُصَحاء العرب والعجم عن الإتيان بمثله بعد التحدي البليغ بقوله تعالى: **﴿قُلْ لَئِن اجْتَمعت الإِنْسُ والجِنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآن لا يأتونَ بمثلِهِ ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظَهيراً﴾**(*).

(*) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

ومنها سائر المعجزات التي نذكر نُبَذاً منها إن شاء الله تعالى.

وأما بيان الثالثة: فلأن إظهار المعجزات عليه شهادةٌ من الله تعالى على صدقه، وتصديق له في دعواه.

ألا يرى أن خاقان الإسلام رتبت معدلته ولّى في العمل عليكم فطالبوه بالحجة فقال: أيها الخاقان إن كنت صادقاً في دعواك فغيِّر عادتك في لباسك فانزع القباء والقلنسوة، والبس الدُّرّاعة والعمامة، ففعل في الحال، علِمَ الجميعُ أنه صادق في دعواه، ولا فرق في إفادة العلم بين أن يشهد بلسانه، وبين أن يشهد بفعله، فثبت أن نقض العادة في أفعاله عقيب دعواه موافقاً لها شهادةٌ على صدقه.

والمعجزات كذلك فيكون شهادة من الحكيم جَلَّ جلاله على صِدْق دعواه النبوة، وبل أولى لوجوه:
أحدها: أنه يجوز أن يغيِّر الخاقانُ لباسَه لحاجته إليه.
والثاني: أنه يجوز أن لايسمع كلام المدعي، أو يسمع وهو غافل عنه.
والثالث: يجوز أن يفعل ذلك عبثاً وتجهيلاً وتضليلاً. تعالى الله عن جميع ذلك عُلُوّاً كبيراً.

اعلم أن الناس في معرفةِ حَقِّيَّةِ رسالةِ محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقهِ في دعواه ثلاثة أقسام:

قسم عرفوه بصفاته وسماته بأخبار أنبيائهم وكتبهم؛ وهم أهل الكتاب، فإنهم وجدوه عندهم مكتوباً في التوراة والإنجيل. قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَه كما يَعرِفونَ أبناءَهم﴾[1] حتى قال أعلمهم، عبد الله بن سلام[2]: إني أعرف بنبوَّةِ محمد صلى الله

---

(١) من الآية: ١٤٦ من سورة البقرة، وتمام الآية: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾.
والآية: ٢٠ من سورة الأنعام: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾.

(٢) قيل إنه من نسل يوسف عليه السلام. أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان اسمه =

وسلم/ من ابني، لأني أعرفه يقيناً، ولا كذلك ابني لأني لا أدري أخانت أمه أم لا؟

وقسم عرفوه بمعاينة الدعوى والمعجزات وهم أهل الحرمين ومَنْ حضروه.

وقسم عرفوا دعواه ومعجزاته بالتواتر، وهم ومن وراءهم من أهل العالم إلى يوم القيامة.

فالواجب علينا في معرفة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أمران: التواتر والفكر. وإذا فات أَحَدُهما لايكون عارفاً بصدقه وحَقِّيَّة نبوَّته، ولا بد من معرفة مقام التواتر ومقام الفكر.

فالتواتر إنما يحتاج إليه في معرفة مالا يدرك بالعقل، كما أعلم بمضي محمد صلى الله عليه وسلم، ودعواه الرسالة إلى الثقلين إلى يوم القيامة، وظهور المعجزات الخارقة للعادة عليه موافقة لدعواه عَقيبَها.

ومقام الفكر أنه هل يجوز إظهار المعجزات على يدي الكذاب المفترى على الله تعالى؟ وكل عاقل يعلم أن الشهادة الكاذبة قبيحة وتجهيل الخلق وتضليله بشهادة أقبح؛ والله تعالى بريء منزه عن القبيح، فيلزم أن يكون صادقاً في دعواه.

والفكر مشترك بين الأقسام الثلاثة.

والتواتر خاص في حقنا، وفي حق كل من لم يعاينه من أمته، فثبت أن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم رسول حق، ونبي صادق، ومبعوث إلى الثقلين: الجن والإنس.

فإن قيل: ما الدليل على ظهور المعجزات عليه؟

قلنا: / أما معجزاته فقسمان، باقية، وسالفة.

= الحصين فسماه رسول الله عبد الله: مات سنة ٤٣هـ / ٦٩٣م (ترجمته في الإصابة - رقم الترجمة ٤٧٢٥ وخبر إسلامه في البداية والنهاية ٣/ ٢١٠.

وجاء في تفسير هذه الآية في مختصر تفسير ابن كثير ١/ ١٤٠: «ويروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمداً كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه».

أما الباقية فالقرآن الذي عجز الجن والإنس عن الإتيان بمثله بعد تَحَدِّيهم بأبلغ الوجوه مراراً، فإنه تعالى قال فيه: ﴿**قل لئن اجتمعت الإِنْسُ والجِنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتُونَ بِمِثْلِه**﴾[1] ؛ ثم زاد في التحدي فقال: ﴿**فأتُوا بعشر سُوَرٍ مثله مُفْتَرَياتٍ**﴾[2] ثم بالغ فيه فقال: ﴿**فأتوا بسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَداءَكم مِنْ دونِ الله إن كُنْتم صادقين**﴾[3] .

وقد مضى من عصر النبوة ستمئة وخمسون[4] فلم يأت أحد بمثل أدنى سورة من سور القرآن[5] ؛ وكذا بلغاء عصره وفصحاؤه، حتى روي أن فصحاء أطراف العالم وبلغاءهم كأهل اليمن والشام ومصر والعراقين[6] كانوا يجتمعون أيام الموسم بحج بيت الله الحرام، ويتباهون بأشعارهم وخطبهم ورسائلهم، ويفتخرون بها، فاجتمعوا ذات سنة في عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا: نختار من كل الجوانب أربعةً: أفصحَهم وأبلغهم، ونعطي كل واحد منهم جزءاً مما تنزَّل من القرآن، ونمهلهم سنة حتى يأتوا بمثله. ففعلوا ذلك فلما كانت السنة القابلة اجتمعوا فلم يأت أحدٌ منهم بشيء، فقيل لهم في ذلك[1] ؛ فقال أحدهم: أوَّلُ آيةٍ من حصتي، قوله تعالى: ﴿**فلما استَيْأسوا منه خَلَصوا نَجِيّاً**﴾[2] سهرتُ ليالي السنة وأيامها فَعَجزْتُ عن الإتيان بمثل هذه الآية الواحدة / ولا بما يقرب منه فحرقت ما كتبت ورميت به.

---

(١) الآية: ٨٨ من سورة الإسراء.

(٢) الآية: ١٣ من سورة هود.

(٣) الآية: ٢٣ من سورة البقرة: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله، وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾.
والآية ٣٨ من سورة يونس: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾.

(٤) في هامش الأصل المخطوط حاشيه صورتها: [وقت تأليف الكتاب ٦٥٠] وجاء في ختام هذه الرسالة [تمت الرسالة الناصرية باسمه الميمون يوم السبت الواحد والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٥٨هـ].

(٥) المراد بأدنى سورة. أقصر أو أصغر سورة.

(٦) العراقان: الكوفة والبصرة. أو عراق العرب وعراق العجم، وسمي العراق لأنه سفل عن نجد، ودنا من البحر.

أي سئلوا عن سبب عدم تأليفهم ما يماثل الجزء الذي أخذوه من القرآن الكريم.

من الآية: ٨٠ من سورة يوسف.

وقال الثاني: أولُ آية من حصَّتي ﴿مَثَلُ الذين اتَّخذوا مِنْ دُوْنِ اللهِ أولياءَ كَمَثَلِ العَنْكَبوتِ اتَّخَذت بيتاً ..﴾[1] الآية، فَجَهِدْتُ جَهْدي كُلَّ السنةِ، فما قلت شيئاً يشتبه على الجاهل مُماثِلَها فكيف على غيره؟ فألقيتُ مكتوباتي في الماء.

وقال الثالث: أولُ آيةٍ من حصَّتي: ﴿وقِيلَ ياأَرْضُ ابْلَعي ماءَكِ ويا سَماءُ أَقْلِعِي ...﴾[2] الآية؛ فبذلتُ وُسْعي وطاقتي كلَّ السنة فما أمكنني ما يقرب منها، وما يشتبه على الأغبياء، فدفنت مكتوباتي حياءً من الناس.

وقال الرابع: أولُ آيةٍ من حصَّتي: ﴿ياأيُّها الناسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاستمعوا له ...﴾ الآية؛ فبذلتُ وُسعي وطاقتي كلَّ السنة، واستعنتُ بكلام البلغاء قبلي فكلما كتبت شيئاً استحييت به، فحرقتها، وعلمتُ أنه لا طاقة لنا بذلك.

هذا من حيث الفصاحة والبلاغة. وله إعجازٌ من وجوه لغة قررتُها في تصنيفي «المجتبى»[3].

وأما سائر معجزاته فقيل[4]: ظهر عليه ألف معجزة، وقيل: ثلاثة آلاف، وقيل: ما من معجزة ظهرت على أيدي الرسل المعروفين قبله، فمثلها ظهر في حق نبينا عليه الصلاة والسلام. ولئن أمهل الله تعالى في الأجل جَمَعْتُها على وجه الاختصار إن شاء الله تعالى.[5]

والأن نذكر نُبَذاً منها كيلا يطول الكتاب، ولا يؤدي إلى السآمة فأقول:

---

(١) من الآية: ٤١ من سورة العنكبوت.

(٢) الآية: ٤٤ من سورة هود.

(٣) كتابه هذا في أصول الفقه. انظر ثبت مصنفاته في مقدمة هذه الرسالة.

(٤) انظر: سيرة ابن سيد الناس «عيون الأثر» ص ١١٤، ١٣٩، ١٨٧، ٢/٢٨٦، وكتاب (حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين) ليوسف بن إسماعيل النبهاني.
وقال ابن سيد الناس بعد أن ساق عدداً من معجزاته صلى الله عليه وسلم: «ومعجزاته صلى الله عليه وسلم أكثر من أن يجمعها كتاب أو يحصرها ديوان». انظر سيرة ابن سيد الناس ٢/٢٨٨.

(٥) لم تذكر المصادر كتاباً أو رسالة بهذا المعنى فلعله الأجل أعجله إذ إنه ألف هذه الرسالة سنة ٦٥٠هـ كما صرح قبل قليل أو سنة ٦٥٨هـ كما جاء في ختمتها، وتوفى سنة ٦٥٨هـ أيضاً.

معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام قسمان: إرهاصية وتصديقية.
فالإرهاصية: ماظهرت عليه قبل ادعائه النبوة، ليقع قاعدةً ومقدمةً لنبوَّته.
والتصديقية: ماظهرت عليه بعد ادعائه إياها.

أما الإرهاصية فمنها نوره المتلألىء في جِباه أصوله الذي كان ينقلب من الآباء إلى الأمهات ومن الأمهات إلى الآباء من لدن آدم إلى أن ولد، ثم انقطع في نسله.

ومنها ولادته مَخْتوناً مَسْروراً[١]، واضعاً إحدى يديه على عينيه، والأخرى على سوْأته.

ومنها خُرور الأصنام ليلة ولادته حتى لم يبق في ديار العرب والعجم صنمٌ إلا خرَّ لوجهه.

ومنها سقوط شَرَف الأكاسرة[٢] والقياصرة بفارس والروم ليلة ولادته حتى تحيروا وأرسلوا إلى الكهنة يسألونهم ماذا حدث في العالم حتى سقط شَرَف قصورنا، فأخبروهم بنبيٍّ آخر الزمان.

ومنها خاتَم النبوة بين كتفيه المذكور في كتب الأولين.

ومنها إظلالُ الغمام عليه، تسخير النخلة إياه حال صباه ليتناول من تمرها. إلى غير ذلك. ليقع أساساً وقاعدة لرسالته.

اعلم أن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فقسمان:
قسم منها في ذاته؛ وقسم منها في خارج ذاته.
فأما التي في ذاته فكان يرى خَلْفَه كما كان يرى قُدّامَه.
وكان بين كتفيه عينان مثل سَمِّ الخياط، وكان يبصر بهما ولا يحجبهما الثيابُ عليه.
وكان منها طول قامته عند الطويل، ووساطته عند الوسيط.
ومنها صِدْقُه في أقواله حتى لم يُسْمع عنه كذبٌ، لا في الأمور الدينية، ولا في الأمور الدنيوية، ولو سمع منه مرة لشَهَّرَهُ أعداؤه.

---

(١) في هامش الأصل المخطوط حاشية صورتها: [أي مقطوع السرة].
(٢) الشرف: المكان العالي.

ومنها أمانته البليغة حتى سموه محمداً الأمين.

ومنها عَفافُه عن القبائح العقلية حتى لم يُقْدِم على شيءٍ منها لا قَبْل النُّـبوَّةِ ولا بَعْدَها.

ومنها شجاعته العالية حتى لا يفرّ من أحدٍ من أعدائه لا قبل النبوة ولا بعدها، وإن عَظُم الخـوف، كيوم أُحُـد[1]، ويوم الأحـزاب[2] لثقتـه بمـواعدِ الله في قوله تعالى: ﴿والله يَعْصِمُكَ من الناس﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿حَسْبُكَ الله﴾[4].

ومنها غاية شَفَقَتِه، ونهاية رحمتِه حتى عُوتِبَ بقوله تعالى ﴿لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ ألاّ يكونوا مؤمنين﴾[5]، ﴿فلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عليهم حَسَراتٍ﴾[6] ﴿ولا تَحْزَنْ عليهم﴾[7].

ومنها سَخاوَتُه في الدرجة العُليا، حتى نُهِي عن إسرافه بقوله تعالى: ﴿ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ﴾[8].

ومنها زُهْدُه عن الدنيا وقِلَّةُ وَقْعها في قَلْبه، حتى إن قريشاً عرضوا المال والزوجة والملكة والرئاسة ليترك دعواه فلم يلتفت إليهم.

ومنها فضله في فصاحته على العرب حتى قال: «أُوتيت جوامعِ الكَلِم»[9].

---

(١) أي كيوم غزوة أُحد التي وقعت في السنة الثالثة للهجرة.

(٢) أي غزوة الأحزاب التي كانت في السنة الخامسة للهجرة، وهي أيضاً غزوة الخندق.

(٣) في الآية: ٧٠ من سورة المائدة.

(٤) في الآية: ٦٢ والآية ٦٤ من سورة الأنفال. وفي الأصل المخطوط: [وحسبك] بزيادة واو. وهو خطأ.

(٥) الآية: الثالثة من سورة الشعراء. والآية: ٦ من سورة الكهف: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾، وبخع نفسه: قتلها هماً.

(٦) في الآية: ٨ من سورة فاطر. وفي الأصل المخطوط [لا يذهب].

(٧) في الآيات: ٨٨ من سورة الحجر و١٢٧ من سورة النحل و٧٠ من سورة النمل.

(٨) في الآية: ٢٩ من سورة الإسراء.

(٩) في صحيح البخارى ـ تعبير ١١ برواية: أعطيت جوامع الكلم. وفي باب الجهاد ـ ١٢٢ براوية: بعثت بجوامع الكلم. وبالرواية الأولى في سنن الترمذى ومسند أحمد وغيرهما، وبالرواية الثانية في سنن النسائي.

ومنها مداومته على مكارم الأخلاق من أول عمره إلى أن فارق الدنيا، والمزوِّرُ لا يمكنه ذلك.

ومنها ترفُّعُه عن أهل الدنيا والثروة، وغايةُ تواضُعِه لأهل الفاقة والمسكنة.

ومنها حلمه وتحمله ومصابَرَتُه إلى غايةٍ لم يبلغها الأولون والآخرون، حتى شَجُّوا جبينه، وأسقطوا ثَنِيَّتَه وهو يقول: «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[1].

واجتماع هذه الخصال على وجه المبالغة لم يتفق لأحدٍ من الأنبياء قبله، ولا لأحدٍ من الأولياء بعده؛ وإنه لمن أعظمِ المعجزات الدالة على صدقه.

وأما الأمور الخارجة عن ذاته

فمنها انشقاق القمر ليلةَ البدرِ، حتى قال ابن مسعود: رأيتُ جَبَلَ أبي قُبَيْس بين فَلْقَتي القمر[2].

ومنها اجتناب السحر مراراً بدعوته.

ومنها ما روي أنه لما لقيه جبريل فأدى إليه غرة الوحي بجبل حِراء[3]، ثم مضى إلى داره فلم يمرَّ بحجر ولا شجر إلا سلم عليه، وشهد بنبوته.

وهذه معجزة له ليعرف أنه نبي، وأن ما رآه حقٌّ لا وسوسة.

ومنها تسبيح الحصى في كفه وأكفِّ أصحابه.

ومنها حنينُ الجِذْعِ إليه حين انتقل إلى المِنْبَرِ[4] فالتزمه حتى سكن.

---

(١) وذلك عن قصد الطائف بعد أن اشتد أذى قريش بعد وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها وعمه أبي طالب (انظر طبقات ابن سعد ١/٢١١-٢١٢).

(٢) أبو قبيس: جبل مشرف على مكة المكرمة، قيل سمي باسم رجل من مَذْحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة، وقيل: كناه آدم عليه السلام بذلك حين اقتبس منه النار التي بين أيدي الناس اليوم (انظر معجم البلدان ١/ ٨٠-٨١ ففيه حديث مفصل عنه).

(٣) جبل حراء: جبل من جبال مكة المكرمة على ثلاثة أميال منها، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد في غار فيه قبل البعثة، وفيه أتاه جبريل عليه السلام أول مرة (معجم البلدان ٢/٢٣٣-٢٣٤).

(٤) الذي وضع له ليخطب عليه في مسجده بالمدينة المنورة، بعد أن شق على الرسول الوقوف، صنعه له =

ومنها نُبوع الماء في غزوة تَبوك[1] من بين أصابعه حين وضع يده على فم المطرة حتى روي منه جنوده وسراياه ودوابهم.

ومنها لما غار الماء في بئر الحُديبية فنصبت اسهمه في قعرها فخرج الماء، وزاد حتى بلغ فم البئر، ورُوي أنه تمضمض ومجَّ ماءَه فيها.

ومنها إشباع الخلق الكثير من الطعام اليسير مراراً: في غزوة تبوك، ويوم الخندق، وضيافة جابر[2] رضي الله عنه، وغيرهما.

ومنها شكاية النوق مرة بعد أخرى من أصحابها.

ومنها شهادة الشاة المشوية المسمومة يوم خيبر، وقولها: لاتأكل مني فإني مسمومة.

ومنها تحلُّق الصخرة بعُنُقِ أبي جهل حين أراد أن يضرب بها.

ومنها دُرور لبن ضُروع شاةِ أم معبدٍ اليابسة الجرباء حين مسح يده عليها في مهاجَرَته.

ومنها كلامُ الذئب وَهْبَان بنَ أَوْس[3]: أتعجب من أخذي شاة وهذا محمد يدعو إلى الحق فلا تجيبونه.

ومنها كلام الثور بمشهد عمر رضي الله عنه: ياآل ذريح، هذا صائح يصيح بلسان فصيح: محمد رسول الله تعالى صلى الله عليه وسلم.

= عبد للعباس بن عبد المطلب؛ ذهب إلى أثلة بالغابة فقطعها ثم عمل منها درجتين ومقعداً ثم جاء فوضعه في المسجد (انظر خبره في طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٩-٢٥٠).

(١) كانت غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة.

(٢) دعا الرسول صلى الله عليه وسلم في تمر حائط (بستان) جابر بالبركة فأوفى غرماءه وفعل ثلاثة عشر وسقا.

(٣) في الأصل المخطوط: «وهب بن أوس» والتصحيح من الإصابة - رقم الترجمة ٣٠٧ واسمه في الإصابة أهبان بن أوس الأسلمي، وقال ابن حجر: ويقال وهبان. قديم الإسلام، صلى إلى القبلتين، ونزل الكوفة، ومات بها في ولاية المغيرة بن شعبة لمعاوية روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابن حجر حادثة الذئب، أنه كان في غنم له فشد الذئب على شاة منها، فصاح عليه، فأقفى على ذنبه، فخاطبه الذئب وقال له: من لها يوم يشغل عنها.

ومنها ماروى أن ذئباً دل الراعي على رسول الله، وكان يحفظ الذئب غنمه حتى رجع.

ومنها إنبات النخلة في سنام البعير، وإدراك ثمرها في الحال، ثم تناولها الحاضرون، فمن عَلِمَ اللهُ أنه يؤمن كان الثمرة حلوةً في فمه، ومن علم منه أنه لا يؤمن عاد حجراً في فمه.

ومنها جعل النُّورْ في خبر طُفيل: الدَّوْسي[1]، ثم في علاقة سوطه حين بعثه منذراً إلى قومه[2].

ومنها تسليم ضَبِّ الأعرابى عليه، وشهادته بنبوته.

ومنها كلام الظبي.

ومنها إحياء بنت أبي أوفى بدعائه.

ومنها إحياء ولد العجوز النجرانية حين أتت بأربعين شيخاً من نَجْران بعظام ولدها، وطلبوا منه الإحياء بدعائه، فدعا الله تعالى فأحياه، فأسلموا بأسرهم.

وهذا قطرة من بحر معجزاته فاقتصرت عليها لوقوع الكفاية بها.

فإن قيل: لانسلِّم وجود التواتر بالقرآن، وبكل ماذكرتم من خوارق العادات.

قلنا: أما التواتر في القرآن من وجوهٍ ثلاثة:

---

(١) انظر - إن شئت - خَبره في (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) ج١ ص١٣٩ - ١٤٠.
وهوالطفيل ابن عمرو الدوسي، ودوس بطن من الأزد، وكان يلقب ذا النور لأنه قال: يارسول الله إن دوساً قد غلب عليهم الزنى فادع الله عليهم. قال: اللهم اهد دوساً، ثم قال: يارسول الله، ابعث بي إليهم واجعل لي آية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. «اللهم نوِّر له». (انظر سير أعلام النبلاء ١/٣٤٤ - ٣٤٧، وفي حاشيته تخريج هذا الحديث) وكان قد أسلم قبل الهجرة، وقتل يوم اليمامة وفي سنة ١١هـ / ٦٣٢م في قتال مسيلمة الكذاب.
وفي الأصل المخطوط: [السدوسي]. وهو تصحيف.

(٢) أي إن قراءة هذه الجماعة تعد رواية متواترة، بحيث لا يمكن تواطؤهم على كذب أو تحريف أو تبديل.

الأول أنّا نَدّعي التواتر في فاتحة الكتاب، وسورة الإِخلاص، والمعوذتين. ونحوها التي تقرأ في المجالس والأندية والمحاريب والمنابر قرآناً في مشارق الأرض ومغاربها: بَرِّها وبحرها.

الثاني: إن الاخبار على وجهين:

أحدهما: بإتيان اللفظ المطابق له.

والثاني بترك الإِنكار في مظانّ الإِنكار. وبهذا الطريق ثبت اتفاق الأئمة في المسائل المتفق عليها. وهذا القرآن متى تلي في المكاتب والمساجد والمحاريب / والمنابر وغُيِّر منه آية أو كلمة أو حرف أو إعراب يُنْكَرُ على مَنْ غيَّره ويُرَدُّ عليه، ويمنع أشدَّ المنع، وكان سكوتُ الجماعات المختلفة عند تلاوته على رؤوسهم قرآناً، إخباراً منهم بأنه هو القرآن.

الثالث: إن الإِخبار بالكتاب كالإِخبار بالخطاب بالعُرْف؛ وقد اتفقت فيه مصاحف العرب والعجم، وأهل الوبر والمدر[1]، فكان إخباراً من الكل بأنه القرآن الذي أتى به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم. وهذا وجه قوي حسن في إثبات التواتر[2] على أنَّ العلم الحاصل بقراءة القرآن بكونه قرآناً علم ضروري لا يمكن إنكاره كالعلم بعقائد الأولين، وتصانيف المتقدمين، ومذاهب المجتهدين.

وأما منع التواتر في سائر المعجزات فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن أكثر المعجزات النقلية ثبت بالتواتر، كزهده، وورعه، وثقته، وأمانته، وحلمه، وصبره، وفطنته، وذكائه، وجوده، وشجاعته، وتواضعه، وكرمه، ورحمته، وعدله، واختصاصه بمكارم الأخلاق، فإن المشهور المعلوم بين أهل العالم أنه كان مخصوصاً بكل واحدة من هذه الخصال الحميدة، وإنْ عَدَّها الخصوم رياءً وسمعة وتزويراً.

---

(١) أهل الوبر: هم أهل البادية؛ وأهل المدر: أهل المدن والقرى. والمدر التراب المتلبد.

(٢) في هامش الأصل المخطوط حاشية هي: «الوجه الثالث أمتن الأدلة بكونه الزامياً عند الخصم، لما أن ثبوت تواتر كتبهم كالإنجيل والتوراة إنما يتحقق بهذا الوجه، فإن لم يقبلوه يرد عليهم ماأوردوا عليه فيثبت الكلام على هذا النظام، حرره أفقر الأنام جلال، الراجي عفو ربه العلام».

والثاني: أن كل واحدة من هذه المعجزات بِعَيْنها وإن لم يكن متواتراً فمعناه متواتر، وهـو ظهور أمور عجيبة، معجزة للخلق، ناقضةٍ للعادة، موافقةٍ لدعواه عقيبها متواتر، فثبت العلم به كعدل أنوشروان[1]، وسخاء حاتم[2]، وشجاعة علي المرتضى[3] كَرَّم الله تعالى وجهه، وإن لم تتواتر كلُّ خَصْلَةٍ مرويةٍ من خصالهم.

(١) أنـو شروان: أحد أكاسرة الفرس الساسانيين، حارب بوستانيوس الروماني. واحتل أنطاكية وغيرها، واستـولى على اليمن سنـة ٥٧٠م. اشتهـر بعـدله ومن أهم مشاريعه مسح الأراضي وإصلاح نظام الضرائب. توفى سنة ٥٧٩م.

(٢) هو حاتم بن عبـد الله بن سعد الطائي، وهو فارس جاهلي وأحد أجواد العرب المشهورين بالسخاء والكرم. ويضرب المثل بجوده. مات في بلاد طيء سنة ٤٦ق. هـ /٥٧٨م وله ديوان من شعر مطبوع.

(٣) المراد علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره، قتل سنة ٤٠هـ / ٦٦١م.

الباب الثاني: في ذكر المخالفين لنبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

وهم اثنتا عشرة طائفة: عشرة منها ينكرون أصل النبوة، وطائفتان تنكران نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى الثقلين خاصة، والله أعلم.

فأما المنكرون لأصل النبوة فالطائفة الأولى زعمت أن المقصود من بعثةِ الأنبياء تكليف أممهم، والقول بالتكليف باطل، لأنه مضرة يستغنى عنها المكلِّف والمكلَّف، فيقبح.

فالجواب عنه لا نسلِّم بأن التكليف مَضَرَّةٌ، وتَعَلُّقُ المصالح الدينية والدنيوية الحالية والأبدية بنفي كونه ضرراً كتعليم الحرب والصنائع ونحوهما. ولئن كانت مضرَّة يسيرةً فائتةً للتعريض لمصالح عظيمة باقية. بمستحسن عقلاً، كمشاقِّ التجارات والزراعات والمجاهدات ونحوها.

الطائفة الثانية قالوا: التكليف جائزٌ إلا أن العقل كاف / لأنه يترك القبيح، ويأتي بالحسن، ويحتاط في المشتبه.

فالجواب عنه إنما يكفي العقل أنه لو عرف جميع ما هو حسن بعقله(*)، وجميع ما هو قبيح بعقله، ألا يُرى أن العاقل قد يباشر أفعالاً على أنها حسنة، ثم يَتَبَيَّنُ له قُبْحُها، وكذا على عكسه، وهذا كمن يعرف أن ما يوافقُ مزاجَه من الأطعمة والأشربة يجب تناولها، وما يخالف يلزمه الاجتنابُ عنها، لكن لا يَعلمُ الموافقَ والمخالِفَ فلا بُدَّ له من طبيبٍ يُعَرِّفه الموافقَ والمخالفَ. فكذا ههنا لا بُدَّ من شيء يعرِّفه الحسنَ والقبيحَ، والنافعَ والضارَّ.

(*) أي: إنما يكفي العقل إذا عرف العاقل جميع ماهو حسن بعقله.

الطائفة الثالثة: زَعَمت أن البعثةَ جائزةٌ عقلاً، ولكن لا دليلَ عليه إلا المعجزات، وهي مشتبهة بالسحر، فلا وُثوق بها.

والجواب عنه أن مباينة المعجزات للسحر ظاهرة من وجوه:

أحدها: أن التعليم يدخل في السحر[1] دون المعجزات، وقد يكون التلميذ فيه أحذق من الأستاذ، بخلافها[2].

الثاني: أن السحر لا يكون بالتحكم، واقتراح المقترحين، بل بحسب ما يعلمه، بخلاف معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الثالث: أن آثار المعجزات حقيقة كشِبَع الجماعة العظيمة من الطعام اليسير، وريِّها من الماء القليل، والتزود منها للثاني من الزمان، كما حصل يوم الخندق وفي غزوة تبوك،

بخلاف السحر لأنه تخييلات كأن يري[3] أنه ذبح إنساناً ثم أحياه بخفة حركته، ولا ذبح، ولا حياة في الحقيقة، بخلاف المعجزة فإنها أمر ثابتٌ في الحقيقة، ولأن السحر لايروح[4] إلا في أوقات مخصوصة، في أمكنة مخصوصة على وجه المباشرة دون الاختراع، بخلاف المعجزات.

الطائفة الرابعة: قالوا دلالات المعجزات بانخراق العادات، وإنه ممتنع.

والجواب عنه: إن قادر الذات لما قَدَرَ على خلق السماوات والأرض، وما عليهما،

---

(١) في الأصل: «أحدها أن التعليم والسحر يدخل في السحر ..» بزيادة كلمة (السحر) الأولى وهي مفسرة للمعنى.

(٢) أي بخلاف المعجزة فالتعليم لا دور له فيها.

(٣) أي: الساحر.

(٤) أي: لا يحصل.

وما بينهما كان قادراً على إهلاكها وتغييرها، ونقضِ العادة في شيء منها تصديقاً لنبيِّه.

الطائفة الخامسة قالوا: ما شهدنا المعجزات، والتواترُ خبر، وإنه لا يفيد العلمَ.

والجواب عنه أن التواتر يفيد العلم القطعي في المشاهدات، على ما بَيّنّاه، كعلمنا بالبلاد المعروفة، والسلاطين الماضية وإن لم نشاهدها.

الطائفة السادسة: وهم جمع من الصوفية قالوا: الاشتغال بغير الله حجابٌ من الله، والأنبياء يشغلونهم بغير الله من الطاعات[1] والتكاليف المختلفة، فلا تكون البعثة حقاً.[2]

والجواب عنه أن الاشتغال بالطاعات والتكاليف المأمورة اشتغال بالله.

والثاني: أن أكثر الثقلين لما كانوا مشتغلين بزهرات الدنيا وشهواتها من النساء والبنين، والذهب والفضة، والأنعام والحَرْث[3]، فبعث الله النبيين مُبَشِّرِيْنَ ومنذرين ليمنعوهم عنها ويشغلوهم بطاعة ربهم، ويدلُّوهم على الهدى، ويمنعوهم عن الردى.

الطائفة السابعة قالوا: إن في الشرائع سَفَهاً وعَبَثاً، كأفعالِ الحج والعمرة، والصلاة ونحوها، لأنه لا منفعةَ فيها للمعبود، ويستضرُّ منها العابد، وأنه لا يليق بحكمة الحكيم[4].

والجواب عنه أنّا لا نُسَلِّم خُلُوَّها عن المصالح، وغَفْلَةُ بعض الجَهَلةِ عنها لا يَدُلُّ على خُلُوِّها، بل فيها مصالح جليةٌ وخفيةٌ يقف عليها أولو الألباب، والعمل بها إظهارُ

---

(١) أي: يشغلون الناس.

(٢) في الأصل: «ولا يكون البعثة حقاً» وسيرد مثل هذا مراراً.

(٣) قال تعالى في الآية: ١٤ من سورة آل عمران: ﴿زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾.

(٤) أراد المصنف أن الحج لا يليق بحكمة الحكيم بزعمهم فالعبارة مستقيمة.

العبوديةِ لرب الأرباب[1].

الـطائفـة الثامنة قالوا: بَعْثُ الأنبياء لمصالح الدنيا، وتسكين الفِتَنِ، ومعرفةِ منافعِ الأغذية والأدوية، وبالحكماء والأمراء والأطباء مَقْنَعٌ وكفايةٌ

والجواب عنه أن الأنبياء إنما بُعثوا لتعريف الحلال / والحرام، والحَسَنِ والقبيحِ، والإرشادِ إلى مراضي الله ومساخطه، ونيل سعادتهم، وذلك لا يحصل إلا بهم.

الطائفة التاسعة، وهم أكثر أهل الكتاب قالو: إن محمداً أتى بنَسْخِ شرائع مَنْ قبله من الأنبياء، والنَسْخُ بداءٌ، والبداء على الله الذي هو عالم الغيب والشهادة مُحال[2].

والجواب عنه أنّا لا نُسَلِّم بأن النسخ بَداءٌ، بل هو إنهاء الحكم السابق. ألا ترى أن السلاطين والخواقين[3] يأمرون جيوشهم[4] وجنودهم بالاجتماع في الشتاء والتفرقِ في وقت الصيف، أو بالاجتماع عند قصد المحاربة، وبالتفرق بعد مُضِيِّها، وبالتوجهِ إلى الغرب، أو القبلة في الخريف، وبالارتحال إلى جانب الشتاء في الربيع، ولا يكون ذلك بدء، ءبل يكون ترتيب الأحكام بحسب مصالح الأوقات والأحوال؛ وكذا أهل الحِرف والصنـاعـات وأهـل التجـارات والـزراعات والأطباء يباشرون مبادىء أمورهم أموراً يباشرون خِلافَها، بل أضدادها في أواخرها، ولا يكون بَداءً. وكذا أهْلُ المَدَرِ والوَبَر يُؤثِـرون الثياب الرقيقةَ والمساكَنَةَ في البساتينِ والخيام في الربيع، وفي الشتاء يؤثرون الثياب المحشُوَّة والوبرية، والمساكن الوبرية، والفساطيط الوبرية، ولا يكون بَداءً، بل هو إثبات الحكم على حَسَبِ ما يقتضيه الوقت والحال؛ فكذلك / الأحكام الإلهية، والشرائع الربّانيةَ.

---

(١) في هامش الأصل المخطوط حاشية هي: «ذكر معظم منافع العبادة للعباد إظهار العبودية لمعبوده، إذ يرونها لا يتميزون من البهائم، ولا يستعدون لمثوبات ربهم، ولا تظهر صلة خلقهم، وحكمة تكوينهم حيث قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ إلى غير ذلك من الحكم المعقولة والمصالح المقبولة وهناك حاشية أخرى لم نتبينها.

(٢) في الأصل المخطوط: [مح] وهو رمز لكلمة (محال) وسيرد هذا مراراً وفي هامش الأصل حاشية مثالها: [البداء: ظهور الرأي بعد أن لم يكن].

(٣) الخواقين: جمع خاقان، وهو اسم علم واسم كل سلطان. كما قدمنا.

(٤) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل فلعلها كما أثبتناها.

الثاني: أن موسى وعيسى على نبينا وعليهما وعلى سائر الأنبياء صَلَوَاتُ الله تعالى وسَلامُهُ أتيا بِنَسْخ شرائع حسنة قبلهما فلم يكن بَداءً، فكذا شَرْعُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

الطائفة العاشرة: طائفة من النصارى قالوا: إن النبي محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم نبيٌّ مبعوث إلى بني إسماعيل، وهم العرب لا إلى بني إسرائيل.

والجواب عنه ما بيَّنّا أنه ادّعى الرسالة إلى الكل، وشَهِدَ الله له بالمعجزاتِ القاهرة والبينات الباهرة، فثبت رسالته إلى الكل، وكفى بالله شهيداً.

الباب الثالث: في المناظرة بين المسلمين والنصارى، ونُصْرَة من أَضْحَوا للإسلام أنصاراً

اعلم أن الأصل في المناظرة معهم عند خواقين عصرنا الذين شرح الله صدورهم للإسلام، ورزقهم به مملكة دار السلام. وأيضاً عند مَنْ يُرْجى إسلامُهم أن يكون على حَسَب مَذاقِهم، ومَجْرى عاداتهم وأحكامهم، دون النُّكَت الدقيقة[1]، والتركيبات الوحشية العميقة، حتى لا تمجها أسماعهم[2]، وتقبلها طباعهم وعقولهم، فلا يَعْذُلْني العالِمُ المتفطِّن. القويم الطبع بترك التوجُّه، وعدم مراعاة الترتيب المنطقي / أو النظري في بعضِ الأجوبة والحُجج قبْل وقوفه على مقصدي ومرامي، ونَظَرِه إلى مقامي، فليس من العدلِ سرعةُ العَذْل

ثم المناظرة معهم [على وجهين][3]:

أحدهما: أن يبدأ النصارى بأسئلتهم فيجيب المسلم عنها على حسب إيراد أسئلتهم: التحقيق بالتحقيق والجدل بالجدل، كمناظرة أبي بكر الباقِلّاني للقِسِّيسِيْن والرهابين بحضرة قيصر الروم على ما سُيتلى عليكَ مِنْ قريب، وأسئلتُهم لا تَخْرُج عما أُورِدُه[4] في هذه الرسالة غالباً.

والوجه الثاني: أن يبدأ المسلم بتقرير الحق فيقول: إنَّ منْ عادةِ الوُلاةِ والخَواقين إجراءُ الأحكامِ على رعاياهم وعَبيدهِم وجُيوشِهم في كلِ حين وزمان على ما يليق بهم، وتقتضيه آراؤهم، ويرسلونها إليهم تارةً بألسنةِ خواصِّهم من أولادهم وأقربائهم وعبيدهم، وأخرى بمكتوباتهم بأيدي بعض خَدَمِهم وحَشَمهم من تقرير بعض الأحكام، وتغيير بعضها، وتبديل بعضها، ومَحْوِ بعضِها أصلاً على حَسَب أحوالِهم، فكذا من عادة أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين بتبليغ أحكامه إلى عباده في وقتٍ، ثم

---

(١) النكتة: اللطيفة المؤثرة (من المجاز) وأصل معنى النكتة: النقطة تخالف لون ما هي فيه والأمر القليل كالنقطة.

(٢) في الأصل: [لما يمجها].

(٣)ما بين المعقوفين ليس من الأصل المخطوط، أضفته على طريقة المصنف ليقوم الكلام.

(٤) في الأصل: عما أورد به.

تغييرها وتبديلها في وقتٍ آخر[1]، وزيادتها ونقصانها في المُحَلّلات والمحرّمات، في الأزمنة المتطاولة، والحوادث المختلفة، والأمزجة المتفاوتة، على ما تقتضيه حكمتُه الباهرة، وإرادتُه العامرة بألسنة رسله وأنبيائه وخواصه وأصفيائه مع شهادة المعجزات الشاهدة على أنه رسوله الصادق، وقد أرسل الله، باتفاق، كثيراً من الرسل والأنبياء، وجماعةً عظيمة من خواص عبيده والأصفياء، بشرائع مختلفة، ثم ما رأينا أحداً منهم، لا إبراهيم، ولا موسىٰ، ولا محمداً، ولا عيسىٰ عليهم الصلاة والسلام؛ وإنما بَلَغَنا بالتواتر دعوى موسىٰ وعيسىٰ، وظهورُ المعجزات عليهما، و دعوى محمد، وظهور البيانات القاهرة عليه كذلك. فإن لم يَجِبْ قولُ أهل التواتر في حقِّ الكلِّ، وإن وجب يُقبل في حق الكل، بل التواتر في حقِّ محمد أولى بالقبول، لأن عصرَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم أقربُ من عصر موسىٰ وعيسىٰ، ومتى كان المُخْبَرُ به أقربَ زماناً كان الثقةُ به والاعتماد عليه أكثرَ وأقوى، لأن الوسائط في البعيد أكثر، وطول العهدِ مُنْس، وإذا وجب قبول قول أهل التواتر فيهم جميعاً كان عيسىٰ رسولاً في تبليغ الأحكام الإلهية اللائقة المشروعة بأهل زمانه ومَنْ بعدهم إلى عصر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، كأحكام موسىٰ إلى عصر عيسىٰ وكان محمد رسولاً في تبليغ الأحكام الإلهية اللائقة بأهل زمانه ومَنْ بَعْدَهم إلى قيام الساعة، مِنْ تقرير بعضِ أحكام موسىٰ وعيسىٰ، وتغيير بعضِها وتبديل بعضِها كرسالةِ مَنْ قَبْلَه من الرسل.

وقد ناظرتُ بعضَ علماءِ النصارى. بجرجانية خُوارِزْمَ في العهد الماضي فقلتُ له: بِمَ عَرَفْتَ نُبُوَّةَ عيسىٰ، وما شاهدتَهُ، وما سَمِعْتَ منه دعوى الرسالة؟

فقال: ثبتَ ذلك عندي بإخبار جماعاتٍ كثيرةٍ يستحيل تواطُؤُهم على الكذب عادةً[2] فأوردتُ عليه الأسئلة الواردةَ على التواتر والمعجزات.

وأجاب عنها بإعانتي، ثم قلتُ له: إنه مقدمة منها تُنْكَرُ في حق محمد عليه الصلاة والسلام؟ فانقطع، ثم أسلم عن قريب، وحسن إسلامه.

ثم اعلم أن للنصارى أسئلةً كثيرة بعضُها علمية، وبعضها عامِّيَّة إقناعية لا طائلَ

---

(١) جلَّ وعز. وله المثل الأعلى.

(٢) وهذا هو التواتر.

تحتها زُهاءَ أربعين سؤالاً، فذكرتُ جميعَها لإِ زالة الشُّبَه عن الأسئلة العلمية، وبيان رَكاكةِ نصِّها وبُطلانها، وذكرتُ الجوابَ عَقِيبَ كلِّ سؤال لتكون أقرب إلى الضَّبْط[1].

منها قولُهم: لا يُسَلَّم ثبوت التواتر، ودعوى محمدٍ عليه الصلاة والسلام ومعجزاتُه.

قلنا: لأنّا وأنتم تَوافَقْنا على مضيِّ محمدٍ عليه الصلاة والسلام، وظهور الخوارقِ والعجائبِ المعجزة عليه، وإن زعمتم أنها سحر، وإذا اتفق الأولياءُ والأعداءُ العرب والعجم على مُضِيه، ودعـواه الـرسالة، وظهور الخوارق عليه ثَبَتَ العلمُ الضروري بمضيِّه ودعواه وظهورُ الخوارقِ المعجزة عليه، كدعوى موسىٰ وعيسىٰ عليهما الصلاة والسلام وبل أولى، كما قررنا أنَّ عهدَ محمدٍ أقربُ من عهدهما.

ومنها قولهم: إن ما ظهر من الخوارق والعجائب على محمد كان سحراً.

قلنا: الجواب عنه من وجهين:

أحـدهُما: أنها ما كانت سِحْراً، بل كانت معجزاتٍ قاهرة حقيقية يقينية بقيت آثارها، وظهرت حقائقُها، وقد بَيَّنّا الفرقَ بين المعجزاتِ والسحر[2]، فإن الساحر لا يُشْبِعُ الجمعَ الكثيرَ من الطعام اليسير، ولا يَروى الجُنْد العظيم من الماء القليل، ولو أمكن الساحرُ ذلك لأَشْبَعَ نَفْسَه وعياله وما تكرّى[3].

والثـاني: أنَّ عينَ هذا السؤال يَرِدُ على خوارق موسىٰ وعيسىٰ، فجـوابكم عنهـا جوابنا. ومنها قولهم: إن محمداً أتى بنسخ أحكام دين موسىٰ وعيسىٰ.

والجواب ما بَيَّنّا فيها قَرَّرْنا. ومنها قوله تعالى في القرآن: ﴿وما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلا بِلِسانِ قَوْمِهِ﴾[4]، وقومُ محمدٍ العربُ، فكان مُرْسَلاً إليهم لا إلى غيرهم.

---

(١) هذه إشارة إلى رسالة أخرى للمصنف فيها كما يقول زهاء أربعين سؤالاً وجواب كلٍ منها. وفي الرسالة التي بين أيدينا بعض هذه الأقوال والشبه وأجوبتها بما فيها من وجوه.

(٢) انظر: الصفحة ٢٥ المتقدمة.

(٣)ما تكرّى: ما دفع الكراء، أي الأجرة، ولعل المراد هنا الثمن.

(٤) في الآية: ٤ من سورة إبراهيم.

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما أنه تعالى بَيَّن في هذه الآية أنه أرسله بلسان قومه، ولم يُبيِّن أنه أرسله إليهم فَحَسْبُ، أم إلى الناسِ كافةً.

والثاني: أنه لَو أُريد ذلك لما كان غيرُ العِبْرِيِّ مُكَلَّفاً بشرائع موسىٰ وعيسىٰ في عهدهم وبَعْدَه أصلاً، وأنه ممتنعٌ بإجماع أهل الملل الإسلامية[1]، وإنما أرسلوا بألْسِنَةِ قومهِم ليبدؤوا بإنذارِ عشائرهم وقومِهِم لكونه أهم كما قيل: ﴿وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِيْنَ﴾[2]، وكفى الترجمة لغيرهم كما في رسالات الخواقين.

ومنها قولُهم: نزل في قرآنكم: ﴿وأَنْزَلَ التَّوْراةَ والإِنْجيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً للناسِ وأَنْزَلَ الفُرقانَ﴾ فيكون التوراة والإنجيل هُدىً للناس بعد نزول الفُرقان، ولا ينتسخان.

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنهما هُدىً للناس من قَبْلِ القرآن.

والثاني: أنها هُدى للناسِ إلى الإيمان بمحمدٍ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وبكتابه لِما فيهما من البشارات بمجيئه، والإخبار عن نُبُوَّته على أن الدلائل العقلية راجحةٌ على الدلائلِ السمعيةِ، لاحتمالِها وُجوهاً عَشَرَةً من الحقيقة والمجاز والاشتراك.

ومنها ما يَرْوُون عن موسىٰ عليه السلامُ أنه قال: [تَمَسَّكوا بالسَّبْتِ أَبَداً]، ورَوَوا عنه: [تَمَسَّكوا بالسَّبْتِ مادامتِ السَّماواتُ والأرضُ] ورَوَوا عنه: [تَمَسَّكوا بالسَّبْتِ عَهْداً لكم ولِذُرِّيَّتِكم الدَّهْرَ].

والجواب عنها من وجوه:

أحدُها لانُسَلِّم بأن موسىٰ قال ذلك ولا نُسَلِّم بأنها في التوراة، ولو ادّعوا التواتر فيه

---

(١) يريد بالملل الإسلامية، الشرائع السماوية كاليهودية والنصرانية والإسلام، ولا يقال الأديان.

(٢) هذه الآية: ٢١٤ من سورة الشعراء. وليت المصنف قال: [كما قال الله تعالى].

(٣) سورة: آل عمران ـ الآية: ٤. والفرقان: هو القرآن الكريم.

فهو ممنوعٌ، لانقطاعِ التواترِ فيها حين قَتَل بُخْتَنَصَّرُ[1] كافة علماء اليهود، وأحرق نُسَخَ التوراةِ في مشارق الأرض ومغاربها، حَزْنِها، وسَهلِها برِّها وبَحْرِها، على أن علماء اليهود بَدَّلوا الأحكام والأخبار وحرَّفوها، كما حكى الله تعالى عنها مراراً: ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ﴾[2].

والثاني: لا نُسَلِّمْ بأنه أراد بلفظة التأييد[3] الدوام، بل أراد به المبالغةَ في التمسك به أزمنةً متطاولة أكثرَ من ألفِ سنةٍ حتى يأتي نبي من الأنبياء بِنَسْخِه، فإنَّ موسىٰ ذَكَرَ لفظةَ التأييد في مواضعَ، ولم يُرِدْ به الدوامَ.

منها ماروي عن موسىٰ أنه قال بعد ذَبْح البقرةِ في قِصَّةِ عامل قبيل بني إسرائيل: [هذه سُنَّةٌ لكم أبداً]، وقد انقطع التعبد بها إجماعاً.

ومنها ما رُوى أن موسىٰ قال: [يُسْتَخدم العبدُ سِتَّ سنينَ، ويُعْتَق في السابعة، فإن أبى العِتْقَ فلتُثْقَبْ أُذُنُه، ويُسْتَخْدم]، ولم يُرِدْ به الدوامَ وإنما أراد به المبالغة حتى جاز في دينه إعتاقُه بعد ذلك.

ومنها مارُوى في قصة دم الفصح[4]، وهو عيدٌ لهم: أن يجعلوه على أبوابهم ويذبحوا

---

(١) بختنصر: ملك بابل. تولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٠٧ قبل الميلاد. انتزع بلاد الموصل، وهاجم الإسرائيليين، وأخذ منهم إقليم سورية، وكانت فلسطين تدفع الجزية لتخوّس ملك مصر، فرضيت بدفعها للملك بابل دون قتال، فتركها واستقل ملكها يهوياقيم، وناصب ملك بابل العداء فعاد إليه بختنصر وأسره، وأخذه إلى بابل ومعه جماعة من أحبار اليهود ويقال إن النبي دانيال عليه السلام كان منهم، ثم عاد ملك بابل ونهب بيت المقدس سنة ٥٨٨ ق. م، ولما رجع إلى بابل تجبر ودعا الناس إلى السجود لتمثاله، ثم جن وهام على وجهه في الخلوات، ثم شفي وعاد للملك ولبث فيه سنة إلى أن مات سنة ٥٥١ ق. م (دائرة معارف القرن العشرين ٢ / ٥٠-٥١)، وذكر مثل هذا في ترجمة بنوخذ نصر الذي توفى سنة ٥٦٢ ق. م (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٢١).

(٢) في الآية: ٤٦ من سورة النساء: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾
وفي الآية: ١٣ من سورة المائدة: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذُكِّروا به﴾
وفي الآية: ٤١ من سورة المائدة: ﴿ومن الذين هادوا سماعون للكذب، سماعون لقومٍ آخرين، لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا . . .﴾.

(٣) في قوله نبي الله موسىٰ الذي يرويه اليهود: [تمسكوا بالسبت أبداً].

(٤) بين سطور الأصل المخطوط: [الذي يعبد ذاته تعالى].

=

الحَمَلَ ويأكلوا لحمه، ولا تكسروا منه عظماً، ويكون هذا العمل سُنَّةً أبداً وقد زال التعبد فيها عندكم، فكذا في السبت.

الثالث أنه يجوز أن يريد[1] بالأمر المخاطبين تحقيقاً ومَنْ بعدهم قياساً مالم يأت نبيٌّ قاهرُ الحجج والبينات بخلافه. انتهى.

ومنها قولهم: أن محمداً صلى إلى بيت المقْدِسِ مُدَّةً[2]، ثم تولى عنه / إلى المسجد الحرام، ولو كان صادقاً لَثَبَتَ على قِبْلَةٍ واحدةٍ.

والجوابُ عنه من وجوه:

أحدهما: ما أشار تعالى إليه في القرآن: **﴿سَيَقُولُ السفهاءُ منَ النّاس ما وَلاّهُمْ عن قِبْلَتهم التي كانوا عليها قُلْ للهِ المَشْرِقُ والمَغْرِبُ يَهْدي مَنْ يشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتقيم﴾**.

والثاني أنَّ الصَّلاةَ إلى البيت المقدس مَرَّةً وإلى الكعبة أُخرى إيفاءٌ لحقوق المواقفِ المعظَّمة، والمعابد المكرَّمة، واستمالة في مبدأ مُهاجَرَةِ القلوب الوحشيةِ، واستعطافٌ للنُّفوسِ الإبيَّةِ ليُذْعِنوا للحقِّ، ويُنْصِتُوا إلى كلامِ الحقِّ.

والثالث أنَّ صلاتَه إلى القبلتين كانت من علامات نبوته المكتوبة في كتب الله المنزلة.

= والفصح كلمة عبرانية معناها العبور.
وعيد الفصح من أكبر أعياد اليهود، يذكرون به الخروج من مصر، ويأتي في الربيع، ومن أهم مراسمه عشاء الفصح الذي يؤكل فيه حمل مذبوح.
ويحتفل النصارى أيضاً بعيد الفصح بسر آلام عيسىٰ عليه وقيامته، وعشاء الفصح عندهم هو الذي تناوله السيد المسيح مع تلامذته عشية موته (انظر جدول الشروح الملحق بالكتاب المقدس ص ٤٥٠).

(١) بين سطور الأصل المخطوط فوق هذه الكلمة شرح للأمر لم يظهر منه إلا كلمة (أي).

(٢) هذه المدة ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر أو ثمانية عشر شهراً بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة حسب اختلاف الروايات. وذلك بعد نزول الآية: ١٤٤ من سورة البقرة: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها . . .﴾ انظر طبقات ابن سعد ج١ ص٢٤١-٢٤٤.

والرابع أن النسخ جائز في كافة الملل الإسلامية من لدن آدم إلى عهد نبيّنا صلى الله تعالى عليه وسلم.

منها: أَنَّ التزوجَ بالأُخت كان جائزاً في عهد آدم، ثم نُسخ.

ومنها: أن الجمع بين الأختين كان جائزاً في عهد يعقوب عليه السلام، ثم نسخ في دين موسى عليه السلام.

ومنها: أنَّ كلَّ دابةٍ حيةٍ كانت مباحةً لنوح عليه السلام وذُرِّيَّتِهِ، إلا الدم، ثم نسخ في دين موسى.

ومنها أن الله أمر موسىٰ وبني إسرائيل إذا جاوز الأردن أن يبنوا بيتاً ومذبحاً عند جبل غيليال[1]، فبنى يوشع وبنو إسرائيل بيتاً سموه / شيلو، وكانوا يَحُجُّونَهُ ويصَلُّونَ إليه أربعمئةٍ وأربعين عاماً، ثم عادوا يصلُّون إلى مِصْرَ مدة، ثم يُصلّون إلى صخرةِ بيت المقدس؛ فإذا جاز في دين نبي الله موسىٰ الصلاةُ إلى أربعة مواضع مختلفة، في أزمنة مختلفة ألا يجوز في دين محمد إلى موضعين؟

وأما أسئلة العامية في تفضيل عيسىٰ عليه السلام على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفي غيره.

فالجواب عنها من حيث الإجمال والتفصيل.

أما الإجمال فلأن جميع مايذكرون من الأسئلة العامية لا يدل على فضل عيسىٰ على محمد عليهما الصلاة والسلام، وفضيلة النبي لا يمنع نبوة النبي المفضول بعده. ألا يرى أن إبراهيم أفضل من موسىٰ؟ وموسىٰ أفضل من عيسىٰ؟ لأنه من أتباعهما، وفضلهما لم يمنع نبوته، على أن الفضل لسيد الأنبياء والمرسلين، وأفضل الأولين والآخرين، المبعوث إلى الثقلين إلى يوم الدين على ما بينا في (المجتبى)[2] في تفضيل محمد على كافة الأنبياء. على نبينا وعليهم صلوات الله تعالى وسلامه

---

(١) هو جبل الجليل، ومنطقة الجليل تقع في شمالي فلسطين، وهي قسمان: الجليل الأعلى والجليل الأسفل. والجليل الأعلى هضبة جبلية، والأسفل سلاسل من التلال تمتد من الشرق إلى الغرب يفصل بينهما وديان كثيرة، وهي أرض زراعية وفيرة الخيرات، ومن مدنها حيفا وعكا والناصرة.

(٢) انظر: ثبت مؤلفاته في مقدمة هذه الرسالة.

وههنـا أصلٌ جليلٌ وكلامٌ مُحْكَمٌ جميل لا بُدَّ من معرفتِه، مُزِيلٌ للشكوكِ والشُّبَهِ والرِّيبِ؛ وهو أن كل نبي ليس دينُه من عند نفسه، ولا شرائعُه من قِبَله، إنما هو دين الله تعالى وأحكامُه وشرائعُه أرسلها إلى عباده بحَسَبِ مصالحِهم بواسطةِ بعضِ خَواصِّه من ملائكةِ السماء والرُّسلِ والأنبياءِ، فكانت العِبْرَةُ للمرسِلِ دون الرسول؛ والواجبُ النظرُ إلى المرسل سواء أرسلها بلسانِ الفاضلِ أو المفضولِ كالوالي والخاقانِ إذا أرسل أحكـامـه إلى رعاياه وأمرائه وجنودِهِ يجب عليهم قبول أحكامه إليهم، سواءٌ أرسلها بلسانِ ولدِهِ أو قرينه أو بعضِ أمرائه أو خدمِهِ أو عبيده[1].

ولا ينظر إلى طول حياة الرسول بعد أداء الرسالة ولا إلى قصرِها.

وأما من حيثُ التفصيلُ فنذكرُ عند كل سؤال جوابَه مفصلاً.

منها قولهم: دين عيسىٰ متفق عليه، ودين محمد مختلف فيه، والأخذ بالمتفق أولى.

والجواب عنه من وجوه:

أحَـدُهـا: أنه لو كان الأخذُ بالمتفق عليه أولى لوجب عليكم التمسكُ بدين اليهودِ دُوْنَ دين عيسىٰ لأنه متفَق عليه بين الأمم الثلاث[2].

الثاني: أن دينَ إبراهيم عليه السلام مُتَّفَقٌ عليه بين جميع الأمم بَعْدَه، ونحن أتباعُ دِيْنِه، فاتَّبعوا مِلَّةَ أبيكُمْ إبراهيمَ[3] فكان دينُنا أيضاً مُتَّفَقاً عليه، وأولى بالاتباع لاتفاق الأمم الثلاث.

الثالث: أنّا نتفق على حَقِّيَّةِ دين عيسىٰ الذي فيه بشارة نبينا محمد عليه الصلاة والسلامُ.

فإن أردتم بدين عيسىٰ ذلك الدين فنحن نقولُ بحقِّيَّته. ويلزمُ منه حَقيةُ دينِ محمدٍ.

---

(١) لله المثل الأعلى.

(٢) يريد المسلمين والنصارى واليهود.

(٣) قال تعالى في الآية ١٢٤ من سورة النساء: ﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾، وقال في الآية ٧٨ من سورة الحج: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين﴾.

وإن أردتم بدين عيسىٰ ديناً ليس فيه بشارة محمد صلى الله عليه وسلم فنحن لا نقول بحقِّيَّته وليس بمتفقٍ عليه؛ وفيه حكاية لطيفة ـ أن قيصراً بعث إلى مأمون الخليفة ليرسِلَ إليه مَنْ يُناظره في النبوات، فإن غَلَبَنا نرسلْ إليك الخَراج، وإلاّ نُقاتل. فاهتمّ لذلك وجمع علماء مملكته، وسألهم واحداً واحداً: كيف نُناظِرُهُمْ؟ فيقول: على الوجه الفلاني، فيردُّه ولا يَسْتأهِلُه لمناظرتهم[1]، حتى سأل أبا بكرٍ الباقِلاّني[2] فقال: أناظِرُهُمْ على حَسَبِ سؤالهم، فأستأهله لها[3]، وأرسله مُكْرَماً إليهم[4]، فلما أراد الدخولَ على قيصر لبس الثيابَ الجديدةَ فأدخله حجابه عليه من جانب بيت الصَّنَم،

---

(١) بين سطور الأصل المخطوط تعليقٌ نصه: [أي لا يراه أهلاً] وهو تفسير لقوله (يستأهله).

(٢) أبو بكر الباقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، كان قاضياً، ومن كبار علماء الكلام في عصره. انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ = ٩٥٠م وسكن بغداد وبها توفي سنة ٤٠٣هـ = ١٠١٣م، وفي مصادر ترجمته أن الذي وجهه إلى ملك الروم هو الخليفة عضد الدولة. والباقلاني لم يكن في عصر المأمون الذي توفى سنة ٢١٨هـ = ٨٣٣م. له مصنفات طبع بعضها منها: (إعجاز القرآن) (طبع) و (التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة) (طبع) و (تمهيد الدلائل) و (البيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة).

(انظر وفيات الأعيان لابن خلكان وتاريخ بغداد ٥/٣٧٩).

(٣) أي وجده أهلاً لتلك المهمة.

(٤) روى الخطيب البغدادي هذه الحادثة في ترجمة أبي بكر الباقلاني في ترجمته في تاريخ بغداد ج٥ ص٣٧٩، إلا أن المرسل هو عضد الدولة البويهي، وهو الصواب لأنه توفى سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٣م والباقلاني توفى سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٣م. ولعل المصنف يريد بكلمة (مأمون) معناها، لا الخليفة المأمون المتوفى ٢١٨هـ / ٨٢٣م وفيه أيضاً أن ملك الروم لما عرف بقدومه وبُيِّنَ له محله من العلم، فدبر أمراًووضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن لأحد الدخول منه إلا راكعاً، فلم رأى ذلك الباقلاني وفطن للأمر أدار ظهره وحنا رأسه راكعاً وهو يمشي إلى خلفه واستقبل الملك بدبره، ثم وضع رأسه ونصب ظهره فعجب الملك من فطنته، ووقعت له الهيبة في نفسه، ولم يذكر الخطيب البغدادى تفاصيل الحادثة كما أوردها المصنف، فجاءت عنده موجزة.

وعضد الدولة لقب واسمه خنا خسرو بن الحسن الملقب ركن الدولة بن بويه الديلمي، أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية، وأول من لقب في الإسلام بشاهنشاه، وكان جباراً شديد الهيبة، أديباً

عالماً بالعربية، وينظم الشعر، صنف له العلماء الكتب ومدحه كبار الشعراء كالمتنبي وغيره. ولد سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٦م وتوفى سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٣م ببغداد، ودفن في النجف (الأعلام ٥/١٥٦).

من باب صغيرٍ ليدخل كالساجد للصنمِ، فَيَشْمَتُوا به؛ فلما رأى الأصنام مستقبلةً البابَ ولّى ظهره إليها ودخل القهقرى، فبطل مَكْرُهم؛ فلما دخل على قيصر وهو على سريره، وحوله عُلَماءُ النصارى صَعِدَ السَّرير، وجلس بجنبه، فقيل له في ذلك[1]، فقال: رأيتُ هذا الموضِعَ خالياً فجلستُ فيه، ثم قالوا له: امرأةُ نَبِيِّكُم زانية[2]، فقال: خُلُوُّ امرأةٍ في الطريق والفضاء برجلٍ أجنبيٍّ أشدُّ إنكاراً في العقلِ أم ولادةُ امرأةٍ ليس لها زوج؟ فبُهتوا[3].

ثم قالوا له: أنتم تشهدون بنُبُوَّةِ عيسىٰ، ولا نشهد بنبُوَّةِ محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.
فقال الشيخ: إنما نَشْهد بنُبُوَّةِ عيسىٰ الذي شَهِد بنبوةِ محمد، لا بمطلَقِ عيسىٰ فإن المُسَمَّيْنَ بهذا الاسم عندنا كثيرٌ، ولا نقول بنبوتهم. فاستحثه قيصر، وبُهِتَ الرهابين[4].

ثم قالوا له: إنكم أنجاس.

فقال أبو بكر: أنا أغسل نَيْفَقَ[5] سراويلي فأشرب الغُسالَةَ، وتغسلونه أنتم واشربوا غُسالَتَه؛ فامتنعوا عن ذلك، لأن الرهابين النصارى لا يستنجون بالماء فيتلوث نَيْفَقُ سراويلهم ببرازهم[6]، فلما بُهتوا شمت بهم قيصر، وعاتبهم، وأرسل الخراج إلى المأمون[7]، وخَلَعَ على أبي بكر وردّه مُشَرَّفاً مكرماً مبجلاً مُعَظماً، فالغرض من هذه

---

(١) أي أنكر القوم عليه ذلك، وسألوه: لم فعلت ذلك؟

(٢) يشيرون إلى قصة الإفك الذي رميت به أم المؤمنين السيدة عائشة بنت بكر الصديق رضي الله عنها، وبرأها الله تعالى بآيات في سورة النور بدءاً من الآية: ١١ ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾.

(٣) في هامش الأصل المخطوط حاشية هذا نصها: [لعل الصحيح أنهم قالوا .. تربية عيسىٰ، وليس له أب، قال في جوابهم قصة آدم إلى آخر الكلام، ونهاية المقال. حرره العبد الضعيف جلال، عفا الله تعالى عنه بكرمه]. وحاشية أخرى هي: [في هذا المحل خيط بينٌ لا يخفى للناظر].

قلت: كان جواب الشيخ على طريقة أهل المنطق ووفق المقام.

(٤) الرهابين: جمع راهب.

(٥) نيفق السراويل: الموضع المتسع منه.

(٦) في هامش الأصل: أي نجسهم.

(٧) قد علمت من تعليقنا المتقدم قبل قليل أن الخليفة هو عضد الدولة البويهي.

الحكاية إلى مناظرة هؤلاء القوم بحسب سؤالهم ومذاقهم وأن دين عيسىٰ المتفق هو الذي فيه بشارة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

ومنها قولهم: عيسىٰ حَيٌّ، ومحمد مَيتٌ، والأخذ بدين الحيِّ أَوْلى.

والجواب عنه بوجهين:

أحَدُهما أن هذه الشرائع للمرسِلِ لا للرسول، والمرسِلُ حَيٌّ لا يموت.

والثاني أن الخَضِرَ حَيٌّ[1]، وموسىٰ ميتٌ، ثم يتمسكون بدين موسىٰ والتوراة، دون دين الخضر.

واعلم بأني قد ناظرتُ بعض ملوك النصارى، وكان أعْلَمَهم وأحْذَقُهم بالنصرانية فقلت: ما تقول لو أرسل الخاقانُ الأعظمُ رجلاً يبلِّغ أحكامه إلى أمراء مملكته ورعاياه، ثم مضى سنون فأرسل إليهم رجلاً آخر يبلِّغ أحكامه المخالفةَ / الأولى، ثم مات الثاني والأول حي، أتأخذون بالأحكام الأخيرة التي أتى بها الميت أم بالأحكام السالفة التي أتى[2] بها الأول فقال:

عَرَفْتُ إلزامَكَ، واستحسنه، وأسلم عندي سِرّاً خوفاً من أتباعه ووُلاتِهِ.

ومنها قولهم: عيسىٰ كان قُدْسِيّاً إنْسِيّاً لاهوتيّاً ناسوتياً.

والجواب عنه من وجهين:

أحـدهما: إن عُنِيَ بالقدسي واللاهوتي اتصافه بصفات الإلهية، أو بعضِها التي يختص به فيكون عيسىٰ مركبا من أجسام وأعراض[3]، مُحْدَثاً[4]، محتاجا ذليلاً يأكل

---

(١) في هامش الأصـل المخطوط حاشية نصها: [هذا بعد كون نبوة الخضر مسلَّماً، ولا يخفى ما فيه من الخلاف، إلا أن يكون عندهم مسلماً فمحال، ينتظم المقال بلا إشكال. حرره أفقر الرجال جلال، عفي عنه].

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل المخطوط. أضفناها ليستقيم الكلام.

(٣) الأعراض، هنا: جمع عَرَض (بفتح العين والراء) وهو خلاف الجوهر، الشيء الذي يقوم بغيره، ولا دوام له.

(٤) لا قديماً كا لإله القديم.

ويشرب ويبول ويتغوط، وذلك يُنافي اتصافه بصفات الربوبية والإلهية. فإن عني بأنه كان من نفخ جبريل وهو روح القدس فآدم عليه السلام كان من نفخ الله تعالى، قال تعالى: ﴿ونَفَخْتُ فيه من رُوحي﴾[1] وخلقه بيديه، قال تعالى: ﴿مامَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدي﴾[2]، وكان أفضلَ منه، بل أَوْلى بالعبودية له.

فلئن قال: كان يُحيي الموتى.

قلنا: المُحيي هو الله تعالى.

والثاني: إن صفات الإلهية صفات أزلية، لأنه تعالى كان الله لم يَزَلْ ولا يَزال، وصفاتُ عيسىٰ مُحْدَثة بحدوثِ ذاتِه ونفسه، فلا يكون لا هوتياً.

وفيه حكاية لطيفة أنَّه أُسر غلامٌ من أبناء بَطارقة الروم[3] في زمن بني أمية، فنُمي خَبَرُه إلى الخليفة فدعاه وسماه بَشيراً، وعلَّمه القرآن والشعر والأحاديث، وحَجَّ البيت، ثم استفزَّه الشيطانُ فهرب إلى الروم. فعرف قيصر بقصته، فعظَّمه ورأَّسه، وصيَّره بِطريقاً من بَطارقته وكان من قضاء الله تعالى أَنْ أُسر ثلاثون رجلاً فيهم شيخٌ من أهل دمشق يقال له واصل[4]، فسألهم بشير واحداً فواحداً حتى انتهى إلى الشيخ فقال: الحمد لله[5] الذي كان قبل أن يكون شيء، والحمد لله الذي خَلَقَ سبع سماوات طِباقاً بلا عون ما كان معه مِنْ خَلْقِه، فَعَجَباً لكم مَعْشَرَ العربِ: وقولكم: ﴿إنَّ مَثَلَ عيسىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾[6] فسكتَ الشيخُ، فقال له بشير: أيها الشيخ، مالك لا تجيبني؟

قال الشيخ: كيف أُجيبك وأنا أسيرٌ في يدك؟ فإن أَجَبْتُك بما تهوى أَسْخَطْتُ عليَّ

---

(١) في الآية: ٢٩ من سورة الحجر، والآية: ٧٢ من سورة ص.

(٢) في الآية: ٧٥ من سورة ص.

(٣) في هامش الأصل المخطوط حاشية نصها: «بطارقة الروم كالقواد في العرب».

(٤) يقتضي المقام أن يكون واصل هذا واصل بن عطاء رأس المعتزلة المتوفى سنة ١٣١هـ / ٧٤٨م ولكنه بصرى كما أني لم أجد هذه الحادثة في ترجمة واصل بن عطاء التي رجعت إليها في بعض المصادر.

(٥) ساقطة من الأصل المخطوط.

(٦) في الآية: ٥٩ من سورة آل عمران.

ربي، وهلكتُ في ديني، وإن أجبْتُكَ بما لا تهوى خُوِّفْتُ منك على نفسي، فأعطني عَهْدَ اللهِ وميثاقَه أنك لا تَعْدوني، وإذا سمعتَ الحقَّ تنقادُ له.

فقال: لَكَ ذلك.

قال الشيخ: أمّا ما وَصَفْتَ مِنْ صِفَةِ اللهِ تعالى فقد أصَبْتَ، وما لا يبلغه علمُكَ أكثر، ثم أسألك عن عيسىٰ، أكانَ يأكلُ ويشربُ وينامُ كما كان آدمُ يفعلُ ذلك؟

قال بشير: بلى.

قال الشيخ: أفكان له أبٌ؟

قال: لا.

قال الشيخ: فمن أين إنكارُكَ أن يكون مَثَلُ عيسىٰ كَمَثَلِ آدم، وقد زعمتم أنه صُلِبَ؟

فأقول لك: أكان برضاه؟ فإن قلتَ نعم قلتَ قولاً عظيماً، فلم تلومون اليهودَ بما فعلوا؟ وإن قلت بِسَخَطِهِ فلم تَعْبُدُ من لا يَدْفَعُ عن نفسه؟

قال بشير: إنك رجلٌ تعلمت الكلام، وأنا رجلٌ صاحبُ سَيْفٍ، ولكن غداً آتيك بِمَنْ يُخْزِيكَ اللهُ على يده.

فانصرف الشيخ، فلما كان الغَدُ دعاه بشيرٌ فدخل عليه فإذا قَسٌّ فَقيهُ النصارى(*). عظيم اللحية، فقال بشير: أيها القَسُّ إن هذا الرجل من العرب له علمٌ وعقلٌ، وقد أحبَّ الدخولَ في دينك، فإنما دَعَوْتُكَ لِتُنَصِّرَه؛ فسجد القَسُّ لبشير وقال: فدعا لي بالخير، ثم أقبل على الشيخ فقال: ما أنت بالصبيِّ الصغير الذي لم يَتِمَّ عقله، ولم يَسْتَكْمِلْ علمَه، ولا أنتَ بالشيخ الكبير الذي ذهب عقله. غداً أُغْمِسُكَ في المعمودية

غَمْسَةً تخرج منها كيوم وَلَدَتْكَ أُمُّك.

قال الشيخ وما المعمودية؟

قال القَسُّ: ماء مقدس.

قال الشيخ: ومن قَدَّسَه؟

قال: قَدَّسْتُهُ أنا والأساقفةُ قبلي.

(*) القس والقسيس: رئيس النصارى في الدين والعلم، والراهب، والكاهن.

قال الشيخ: فما كانت لكَ ذنوبٌ؟

قال القَسُّ: بل كثير.

قال الشيخ: فكيف يُقَدِّسُ الماء مَنْ لا يُقَدِّسُ نَفْسَه؟

قال القَسُّ: أنا قَدَّسْتُه لكنها سُنَّةٌ من عيسىٰ لأن يحيى قَدَّسَ عيسىٰ بالأردن[1] ومسح على رأسه، ودعا له بالبركة.

قال الشيخ: فاحتاج عيسىٰ إلى أن يَمْسَحَ يحيى عليه، ويدعو له؟ فإذن يحيى خيرٌ منه، فكيف يكونُ المحتاجُ إلهاً؟

قال: فاستلقى بشيرٌ ضاحكاً، وأَدْخَل فمه في كُمِّه ثم قال للقَسّ: قُمْ أخزاك الله، إنما دَعَوْتُكَ لِتُنَصِّرَه فأراك قد أَسْلَمْتَ.

ثم بلغ خبر الشيخ إلى ملكِ الرومِ قيصرَ، فأرسل إليه وقال: ما هذا الذي بلغني عنكَ مِنْ تَنْقِيصِكَ ديني؟

قال الشيخ: إن لي ديناً كُنْتُ ساكتاً عنه فلما حَرّكوا[2] لم يكن بدين أكذب عنه.

قال: وعندك حجة؟

قال الشيخ: أُدْعُ مَنْ شئت يُحاجُّني.

فدعا قيصر بعظيمِ النصرانية[3]، فلما جاء سَجَدَ المَلِكُ والبطارقة أجمعون.

قال الشيخ: مَنْ هذا الذي سجدتم له دونَ ربِّ العالمين؟

قال قيصر: هذا عظيمُ النصرانية، قم إليه فسلِّم عليه، فقام إليه، وأخذ بيده.

فقال: كيف حالُكَ؟ كيف أَهْلُكَ وولَدُكَ؟

قال: فأخذتْه العِزَّةُ وقال: أَمِثْلي يكونُ له ولد[4]؟

وقالت البطارقة: اقتلوه.

قال الشيخ: فأَنْتَ تزعُمُ لله أهلاً وولداً، وتأْنَفُ[5] أن يكون لك وَلَدٌ وتختلط بالنساء الحُيَّضِ؟ وتزعم أنَّ ربَّ العالمين سكن ظلمة البطن، وضِيْقَ الرَّحِم؛ فسكت القَسُّ.

---

(١) أي بنهر الأردن. انظر العهد الجديد، متّى ص٧.

(٢) في الأصل المخطوط: [فلم حركوا] ولعله تصحيف ما أثبتنا.

(٣) لعل المراد (البابا)وهو أعلى عالم عند النصارى، عدا البروتستانت منهم.

(٤) أساقفة النصارى وقساوستهم وبطاركتهم .. لا يتزوجون في معظم مذاهبهم عدا البروتستنت منهم.

(٥) في الأصل المخطوط: (وتازد) ولعلها تصحيف (تأنف) التي أثبتناها.

فقال الشيخ: مالَكَ لا تُجيبني؟
قال القَسُّ: هذا شيطانٌ رمى به البحر إلى بلادكم فأخْرِجوه إلى بلاده كيلا يُفْسِدَ عليكم دينكم.
قال الشيخ للقَسُّ: إنْ عَبَدْتُم عيسى لأنه لا أبَ له، فهذا آدمُ لا أبَ له ولا أُمّ خَلَقَهُ الله تعالى بيده فضمّوه إلى عيسى، وإن عبدتموه لأنه أحيا الموتى، فهذا حِزْقيل[1] تجدونه في الإنجيل، إنه مر بميتٍ فدعا الله تعالى فأحياه، فضُموا حِزْقيلَ إليهما، وإن عبدتموه لأنه أراكم الأعاجيب فهذا يُوْشَعُ بنُ نون[2] قاتلَ العمالقة[3] حتى كادت الشمسُ تَغْرُبُ فقال: ألا ارجعي بإذن الله، فرجعتْ إثنى عشر بُرْجاً. وإن عبدتموه لأنه عُرِجَ به إلى السماء فإن الملائكة تَعْرُجُ إليه في كل يوم، ومع كل إنسانٍ اثنان بالليل، واثنان بالنهار.
وقال القس اذهبوا به إلى الكنيسة العظمى فإنه مادَخَلها أحد إلا تَنَصَّرَ، فأمر الملكُ بذلك، فقال الشيخ: إلى أين يُذْهَبُ بي؟ لأخرج من ديني بغير حجة؟
فقال له الملك: لن يَضُرَّكَ، إنما هي بيتٌ من بيوت الله، تذكر فيه ربَّكَ.
قال الشيخ: إن كان كذلك فلا بأس، فلما دخلها وَضَعَ أُصْبُعَيْهِ في أذنيه ورفع بالأذانِ صَوْتَه فضجّوا من ذلك وقالوا: أَحَلَّ بنفسه القتل.
فقال الملك: أيُّها الشيخ، لِمَ فعلتَ ذلك؟
قال الشيخ: أَلَسْتَ قلتَ: يُذْهَبُ بك إلى بيت من بيوت الله تَذْكُر فيه رَبَّكَ؟ فذكرتُ فيها ربي بلساني، وعظّمته بلغتي، فإن كنتم كلما ذُكِرَ اللهُ في كنائِسكمْ صَغُرَ دينُكم، فزاده الله صَغاراً.

---

(١) حزقيل أو حزقيال: أحد أنبياء بني إسرائيل الأربعة الكبار تنبأ بين سنتي ٥٩٣ و ٥٧١ ق. م

(٢) خادم نبي الله وموسىٰ وخلفه.

(٣) العمالقة: قدماء العرب، وأهل شمالي الحجاز خاصة، فتحوا مصر باسم الشاسو (البدو أو الرعاة) ويسميهم اليونان (هكسوس)، وأصل الكلمة العمالقة مجهول، والغالب أنه منحوت من اسم قبيلة عربية كانت مواطنها بجهات العقبة أو شمالها كان البابليون يطلقون عليهم (ماليق) أو (مالوق) فأضاف اليهود كلمة (عم) بمعنى الشعب فقالوا: (عم ماليق) أو (عم مالوق) فقال العرب: عماليق أو (عمالقة)، ثم أطلقوه على طائفة كبيرة من العرب القدماء كان العمالقة على علاقة بالكنعانيين والأموريين، نهبوا الشعب اليهودي أثناء هروبه من مصر، لكن اليهود انتصروا عليهم بزعامة يشوع (الموسوعة العربية الميسرة).

فقال الملك: صَدَقَ، لاسبيلَ إلى قتله، وأمر بتخليةِ سبيله.

وهذه الحكاية تدل على أن شُبَهَهُم في غاية الضعفِ، ولا تَنْقاد للحقِّ إلا القليل، ومنها أن عيسىٰ كان مَلكياً لنفخ جبريل، وعُنْصرياً لأمِّه.

والجواب عنه من وجوه:

أحدها أنَّ عيسىٰ إن كان ملكياً لنفخ جبريل، وآدم إلهيٌّ لنفخه فيه. قال تعالى:[1] ﴿ونَفَختُ فيه مِنْ رُوْحي﴾ فكان الاتّباعُ به أولى[2].

والثاني: أنَّ كلَّ آدمي ملكيٌّ وعُنْصُرِيٌّ لأن المنقولَ من أهل الكتاب ونبينا عليه الصلاة والسلام أن لله تعالى مَلَكاً يوكِّله على بني آدم، فإذا تَمَّ خَلْقُه يَنْفُخُ فيه الروحَ فيحيا، فكان كلُّ واحدٍ من بني آدمَ مَلَكِيّاً.

والثالث أن الفضل بالطاعةِ والعدلِ والإحسان، لا بالزمانِ والمكانِ.

ومنها أن الله تعالى اتحد بعيسىٰ دون محمد.

والجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنه لو اتَّحَدَ به لكانَ الله تعالى مُحْدَثاً؛ وعيسىٰ قديماً لأنه محال لا يتم الله إلا به، فإن كان مُحْدَثاً لزم الأول، وإن كان قديماً / لزم الثاني، وهما ممتنعان.

والثاني: أنه لو اتحد به فإما إن بقيا بعد الاتحاد ابناً أباد فانياً[3]، أو لم يبقيا، فإن بقيا كانا اثنين لا واحداً، وإن لم يبقيا أصلاً كان الحاصل ثالثاً غيرهما، وإن بقي أحدهما دون الآخر يلزم فناء أحدهما وبُطلانُ الاتحاد.

الثالث: أن المعقول من اتحاد الذاتين اجتماعهما، فإما أن تصل ذات الله[4] تعالى إلى ذات عيسى فيكون الله جسماً أو جسمانياً وإنه محال، أو تصل ذات عيسىٰ إلى ذات

---

(١) في الآية: ٢٩ من سورة الحجر، والآية: ٧٢ من سورة ص.

(٢) أي اتباع آدم أولى من اتباع عيسىٰ عليهما السلام.

(٣) كذا الأصل المخطوط.

(٤) في الأصل المخطوط: [فإما أن يصل إلى ذات الله ..] لعله تصحيف.

الله تعالى، ومحال أن يكون الله تعالى في جهة ومكانٌ وإنه محال.

فإن قيل إحياء الموتى دليل الحلول، قلنا: ذكر في الإنجيل أن حزقيل مر بميتٍ فدعـا فأحياه الله تعـالى، وأنَّ حياة العصا، وهي الخشبةُ اليابسة وجَوَلانُها، وتلقِّيها السحـر أَنْـذَرُ وأَعْجَبُ، وأَعْجَـزُ للخلق مِنْ إحياء الميت فيلزم أن تتحـد، أو بحا بحزقيل أو بموسىٰ وهو محال بالاتفاق وكذا ثبت بالتواتر، وبالمشاهير أن الله تعالى أحيا أربعةً من الأموات بدعاء محمدٍ صلى الله تعالى عليه وسلم، فيلزم أن يكون متحداً به. تعالى عن ذلك عُلُوّاً كبيراً.

ومنها قولهم: إن عيسىٰ أُقْنومٌ[1] واحدٌ من الأقانيم الثلاثة للأب والأم وروح القُدُس وهو للابن و محمد أجنبيٌّ عنه.

والجواب عنه من وجوه:

أحدها أنه لو كان أقنوماً لما تمَّ الله تعالى إلا به وعيسىٰ مُحْدَثٌ فيلزم أن يكون اللهُ مُحْدَثاً، وهذا محال.

الثاني: أنَّ كل واحدٍ من الأقانيم إن كان قائماً بنفسه يلزم قُدَماءَ ثلاثة وهو محال، لأنها تشترك في القدم، وتفترق في التعين، فيكون كل واحد منها مركباً من جزأين. وكل مركَّب ممكن وكل ممكنٌ حادثٌ، فيلزم أن يكون القديمُ حادثاً، وهو محال، وإن لم يكن قائماً بنفسه فإمّا أن يكون بعضُها قائماً بنفسه فذلك هو الأُقنوم، والأصل دون غيره، وإن لم يكن يلزم أن لا يكون في الوجود قديمٌ أصلاً، وإنه ممتنع إجماعاً وعقلاً.

الثالث: أن كل واحد من الابن والروح إذا كان مساوياً الأب في القِدم ووجوبِ الوجود لذاته فلمَ سَمَّيْتم هذا أباً، وهذا ابناً، وهذا زوجاً؟ وإن لم يكن مساوياً فلم أشركتموهما إياه في الإلهية، ولم تشركوا سائر النفوس والعقول والملائكة؟

ومنها قولهم: عيسىٰ أشرفُ من محمد، لأنه كان منه[2]، ولهذا عاد إليه دون محمد عليه الصلاة والسلام.

---

(١) الأقنوم: الشخص أو الأصل أو الذات.

(٢) منه: أي من الله تعالى.

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنه أما إن أراد بقوله (كان منه) أنه جزءٌ منه فيلزم تجزؤه، وهو محال[1]، وكذا نُقصانه بعد انفصاله منه، وهو محال.

وإن أراد أنه فِعْلُه وخَلْقُه فكذا جميع الخلائق منه. ثم يعودون إليه.

الثـاني: إن قوله: (فعاد إليه) يقتضي أن يكون الله في جهةِ السماءِ / وإنه مُحالٌ باتفاق الأمم.

ومنها قولهم: عيسىٰ مُبَشَّرٌ بكلمةٍ منه: ﴿**إذ قالتِ المَلائِكَةُ يامَرْيَمُ إنَّ الله يُبَشِّرُكِ بكلمةٍ منه**﴾[2].

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن محمداً مبشَّرٌ بكلماتٍ منه في التوراة والإنجيل، صَدَّقَه المنصفون منهم كعبد الله ابن سَلام، وعبد الله بن صوريا ووهْب بن مُنَبِّه[3] وأضرابِهم.

الثاني أن بشارة عيسىٰ لمريم خاصة، وبشارة محمدٍ للناس جميعاً، [قال تعالى][4] ﴿**وما أرْسلناكَ إلا كافَّةً للناس بَشيراً ونذيراً**﴾[5].

---

(١) هذه: الضمائر تعود إلى الله تعالى أيضاً.

(٢) سورة آل عمران ـ الآية: ٤٥. وفي الأصل المخطوط: (وإذا قالت الملائكة) خطأ ظاهر.

(٣) عبد الله بن سلام: صحابي، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة كان اسمه الحصين فسماه الرسول عبد الله، توفى سنة ٤٣هـ / ٦٦٣م (الأعلام ٤/ ٩٠ الإصابة رقم ٤٧٢٥) وعبد الله بن صوريا يهودي أيضاً ساق ابن سعد خبر لقائه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه، فطلب الرسول أعلمهم فقالوا: عبد الله بن صوريا، فخلا به الرسول فناشده بدينه وبنعم الله بالمن والسلوى فأقر بأن صفة رسول مبينة في التوراة، وأنه لم يسلم لأنه كره خلاف قومه (انظر طبقات ابن سعد ١/ ١٦٤). ووهب بن مغبة الأنباري الصنعاني الذماري، مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة، ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين، توفى سنة ١١٤هـ ٧٣٢م بصنعاء، وبها ولد سنة ٣٤هـ /٦٥٤م (والأعلام ٨/ ١٢٥ـ١٢٦).

(٤) مابين المعقوفين ليس في الأصل المخطوط، أضفناه توضيحاً.

(٥) في الآية: ٣٨ من سورة سبأ.

ومنها قولهم: إنه وَلَدَتْهُ سَيِّدَةُ نِساء العالمين، المفضَّلةُ على الجنِّ والإنس، ومحمدٌ من نُطْفَةِ شخصٍ ليس كذلك.

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنَّ عين هذا يَدُل على فضلِ محمدٍ عليه الصلاةُ والسلام، لأنه لمَّا وُلِدَ من المشركين مِثْلَ سيدنا إبراهيم، ونشأ فيما بين عَبَدَةِ الأصنام، وتَرَبَّى في حِجْر المشركين والمشركات، ومع ذلك خالَفَ عاداتِهم، وتحاشىٰ عن عباداتِهم، وبلغ في توحيد الله وتنزيهِ ذاتِه، وتَقْديس أفعاله وصفاته، وعلومِ الشرائع، والرئاسة، والعدلِ، والسياسةِ مَبْلَغاً لم يَبْلُغْهُ أحدٌ من سكان الأرض في عصره؛ وذلك لا يكون إلا بالمجاهداتِ العظيمةِ، والأنظار القَويمَةِ، والعِصْمِ، والألطاف الإلهية، بخلاف من نشأ فيما بين العابدين والعابدات، لأنه يتعوَّد العبادةَ في أكثر الأحوال طبعاً واضطراراً، لاقَصْداً واختياراً وبهذا فَضُل إبراهيمُ على يعقوب وأولادهِ، وداودُ وسليمانُ وموسىٰ وهارونُ، وبهذا فَضُلَ إسلامُ سلطانِ الإسلامِ أكرمِ خَواقينِ الأنام، رزقه الله دار السلام، على إسلام أولادِ جميع المسلمين.

والثاني: أنَّ الله تعالى خَلَقَ نُوْرَ محمدٍ قبلَ خَلْقِ آدمَ بكذا آلاف سنةٍ، وكان يقول: (خُلِقْتُ وآدمُ بين الماءِ والطِّينِ).

ومنها قولهم: أقرَّ عيسىٰ بعبوديته في المهد، دون محمد(*).

والجواب عنه بوجهين:

أحدهما: أنَّ ذلك كانَ كلامَ الله تعالى، خَلَقَهُ فيه كرامةً لمريم، ودفعاً لتهمةِ الزِّنى.

(*) لأنه تكلم وهو في المهد صبياً، قال تعالى في سورة مريم: ﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فرياً. يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً. فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً. قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ الآيات: ٢٧-٣٠.

وألف الشيخ مرعي بن يوسف المقدسي الكرمي المتوفى سنة ١٠٣٣هـ كتاباً عنوانه (الميثاق والعهد في شرح من تكلم في المهد) منه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق في ١٢ ورقة ضمن المجموع رقم ٥٨ عام.

والثـاني: أنَّ إقرار عيسى عطائي وإقرارَ محمدٍ كَسْبِيٌّ عند كمال عقله في صباه؛ والكسبيُّ أفضل من العطائي، كإقرارِ سيدنا إبراهيم حيث كان كسبياً.

ومنها قولهم: إن محمداً عاش إلى وقت بلوغِهِ أزمنةً متطاولةً خالياً عن التوحيد والطاعة، ولا كذلك عيسىٰ.

قلنا: الجواب عنه من وجهين:

أحدهما: لا نُسَلِّمُ خُلُوَّهُ عن التوحيد والطاعةِ في شيءٍ من أزمنةِ كمالِ عقلِهِ، بل كان معروفاً بالتوحيد، والثناءِ على الله تعالى؛ والواجباتِ العقلية، وإنما لم يعمل بشرائع اليهود والنصارى لفسادِها ولتحريف الكَلِم عن مواضعه[1]؛ وهذا آية عِلْمِه وفضلِهِ.

والثاني: أنَّ مَنْ لم يَثِقْ بشرائعِ مَنْ قَبْلَهُ من الأنبياء، ولم يَثْبُتْ عندَهُ لا يلزمُه العملُ بها، فَعَدَمُ العمل بها لا يُنافي التوحيد؛ على أنه اشتُهر بالتوحيد صغيراً وكبيراً، صلى الله عليه وسلم.

ومنها قولهم: عيسىٰ لم يَزِدْ بنسخ التوراة، ومحمد قد أتى به أجبنا عنها.

ومنها قولهم: عيسىٰ لم يتزوجَ، ولم يتبع الشهوة والهوى والنساء. والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن التزوج بالنساء، والتسرى بالإماء كما فعله الأنبياء الأقدمون دون اتباع الهوى، لأن فيه تحصين الفَرْجِ، وتحصيل النسل، وتربية العيال، وملكة النفس معهن، وليس الرجلُ مَنْ لم يجد الدنيا فأعرض عنها، إنما الرَّجلُ مَنْ وَجدَ الدنيا فأعْرَضَ عنها، وآثر المحاويج[2] على نَفْسه، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يجوعُ يومين فيصبرُ، ويَشْبَعُ يوماً فيشكر، وما شَبع من خبزِ البُرِّ ثلاثة أيام قَطُّ في عُمُرِهِ وإنما كان يَدَّخِر لنسائه قُوْتَ سَنَةٍ إقامةً للواجب عليه.

والثاني: أنه أبْعَدُ من تُهَمَةِ الزنى والتزوير والاحتيال عند كثرة النساء والإماءِ لأنهُنَّ لا يَسْتُرْنَ الأسرار غالباً، بخلاف التوحد.

---

(١) قال تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه . . .﴾ الآية: ٤٦ من سورة النساء، وقال أيضاً: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه . . . .﴾ الآية: ١٣ من سورة المائدة.

(٢) المحاويج: جمع محوج، وهو المعدِم، أو جمع محواج (من اللغة). والحوج: الفقر.

ومنها قولهم: [معجزات عيسىٰ][1] أبعد من السِّحر: من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنه كان لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم معجزاتٌ من جِنْس معجزاتِ عيسىٰ على مارُوي أن الله تعالى أحيا بدعائه أربعَ أنْفُسٍ كابن عبد الله بن أبي أوفى رئيس رعاة أبي جهل، وابن العجوز النجرانية[2] التي أتت مع أربعين شيخاً من نصارى نجران، وغيرهما، وضَرَبَ النعمانُ الظَّفَرِيُّ الأنصاريَّ ففقأ عَيْنَهُ وأتى بمقلته إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوضعها في محلها، وتَفَلَ فيها فبرأت وكانت[3] أقوى عينيه؛ وهكذا كان في حَقِّ أبي قتادة[4].

فإذا ثبت كَوْنُ معجزاتِ عيسىٰ أبْعَدَ من السحر ثبت كونُ معجزاتِ محمدٍ أبعدَ من السحر لكونها من جنسها، مع زياداتٍ لا تُحصى عدداً.

والثاني: أن معجزات محمدٍ، أبعد من السحر، أكثر من معجزات غيره، لأن معجزاتِ إشباعَ جماعات كثيرة من طعامٍ يسيرٍ جداً، مراراً كما في ضيافة جابر في غزوة تبوك، ويوم خيبر، وإرواءَ جماعاتٍ كثيرة وجنودٍ جَمَّةٍ من ماءٍ يسيرٍ مراراً، كما في غزوة تبوك حيث نبع الماء من بين أصابعه حتى رَوِي منه جنودُه ودوابهم، وكما في بئر الحُدَيْبِيَة على ما مَرَّ ذِكْرُه أبْعَدُ من السحر، لأن الساحرَ لا يُشبع ولا يروي نَفْسَه، فكيف غيرُه؟ وكذا

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في الأصل، أضفناه ليستقيم الكلام.

(٢) النجرانية: نسبة إلى نجران، وهي مدينة في جنوب المملكة العربية السعودية اليوم على حدود منطقة عسير، دخلتها عقيدة النصارى على يد التجار، وازدهرت في عصر الامبراطور يوستيانس، وساق ياقوت الحموي حديثاً طويلاً عنها في معجم البلدان ج٥ ص٢٦-٢٧، وفيه أن بني عبد المدان بنوا فيها كعبةً مضاهاة للكعبة المشرفة في مكة المكرمة، وسموها كعبة نجران؛ وكان فيها أساقفة معتمون جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى المباهلة أي: الملاعنة. وقال ابن منظور في لسان العرب ١١/٧٢ - مادة (بهل): ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا.

(٣) في الأصل: (وكان).

(٤) أبو قتادة: صحابي كان فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحادثته المشار إليها موجودة في سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ج٢ ص٤٥٠.

انشقاقُ القمر في مسيرة خمسمئة عام، وكلامُ الضبِّ الذي جاء به الأعرابي والنوقِ مراراً أبْعَدُ من السحر، ومنها قولهم: مُعجزات عيسىٰ أشْهَر، فكان أوْلى بالاتِّباع.

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن معجزاتِ محمدٍ أشْهَرُ وأكثر لقرب عهدها، واختلافُ أنواعها وأجناسِها.

والثاني: أن معجزاتِ محمدٍ حاضرةٌ باقيةٌ، وهذا القرآنُ العظيم وما أخبره بوقوعه بعد وفاته كحديث: «الخلافةُ بعدي ثلاثون سنة»[1]، وحديث المدينة: من أنه لا يدخلها الطاعون[2]، حيث لم يدخلها إلى الآن، وإلى يوم القيامة، وغير ذلك من أحاديثه الواقعةِ على هذا المنوال.

ومنها أن عيسىٰ لم يأتِ بقَتْلِ الأنْفُسِ ونَهْبِ الأموالِ، وسَبْيِ الذراري، بخلافِ محمدٍ عليه الصلاة والسلام.

والجواب عنه من وجهين:

---

(١) لهذ الحديث روايات فقد جاء في مسند أحمد ٥/٢٢، ٢٢١. «الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون بعد ذلك الملك»، وفي مشكاة المصابيح ٣/٧ الحديث رقم ٥٣٩٥: «الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً» رواه أحمد والترمذى وأبو داود وفي فيض القدير ٣/٥٠٩ ـ الحديث ٤١٤٧ «الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك» ونقل عن الحافظ بن حجر في فتح القدير أنه أراد بالخلافة خلافة النبوة، وأما معاوية ومن بعده فعلى طريقة الملوك ولو سموا خلفاء، وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وخلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام، وعثمان إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وتسعة أيام وخلافة علي بن أبي طالب أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام، ثم أيام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين،

(٢) في صحيح البخاري ص ٣٠: لا يدخل المدينة المسيح ولا الطاعون، وفيه ـ فتنة ٣٧، وتوحيد ٤١: فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله، و فيه ـ فتن ٣٧: لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، وانظر مسند أحمد ١/١٨٤ وصحيح مسلم/ ج ٤٨٥.

وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ج٣ ص١٢٧: «الطاعون: المرض والوباء الذي يفسد به الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان».

أحـدهمـا: أن الجهـاد في سبيل الله أعْظَمُ الطاعاتِ، وأكْمَلُ العِبادات لأنَّ فيه تَعَرُّضُ النفس والمالِ للنوى والتلف في إعْلاءِ كلمة الله، وقهرِ أعداء الرحمن، وقتلَ جنودِ الشيطانِ.

الثـاني: إذ لو كان نقيصـةً أو مكروهاً لما كُلِّفَ به موسىٰ وهارونُ وداودُ وسليمانُ وإبراهيم عليهم السلام.

ومنها قَوْلُهم عيسىٰ كان أزْهَدَ وأحْلَمَ وأصْبَرَ في المكاره.

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم قد فاق في هذه الخصال الحميدة[1] كافَّةَ النساءِ والرجال، وحِلْمُ محمدٍ وخُلُقُه، ورحمتُه على الخَلْق، وشَفَقَتُه، وصِدْقُه، وأمانَتُه، وجُودُه، وسخاؤُه، وتواضعه، وحياؤُه مما لا يُمكن إنكاره للعِلمِ الضروريِّ الحاصل بالتواتر.

والثـاني: أنَّ الحِلْمَ والـزُّهْـدَ والـوَرَعَ فيما بين الجماعات الكثيرةِ المختلفةِ الآراء، والعشـائر والقبائلِ المتفاوتة الطبائع، والأرواح والأولاد والحشم والخَدمِ، وكان حِلْمُه وصَبْرُه وورَعُه اليسيرُ كثيراً، فكيف وكان مع هذا كله في غايةِ حِلْمِهِ وصَبْرِهِ ووَرَعِهِ، وعيسىٰ دعا على أصحابَ المائدة، وأولئك الصبيان الذين حبسهم آباؤهم عنه حتى جعلهم الله قِرَدَةً وخنازيرَ، وسيدُنا محمدٌ صلى الله تعالى عليه وسلم كُسِرَ رَباعِيَتُّه[2]، وشُجَّ جبينُه وهو يجمع دماءَه حتى لا تصل إلى الأرض ويقول: اللهمَّ اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون[3].

ومنها قولهم: إن عيسىٰ ينزل في آخر الزمان، وكان نبياً في الوسط[4] والخاتمة.

والجواب عنه من وجهين:

---

(١) في الأصل المخطوط: [في هذه الحميدة الخصال].

(٢) الرباعية: السن التي بين الثنية والناب؛ وذلك في غزوة أحد.

(٣) وذلك حين قصد الطائف داعياً لدين الله. (انظر سيرة ابن سيد الناس ١/١٣٤).

(٤) بين السطور في الأصل المخطوط: [وسط عمر الأنبياء].

أحدهما: أن ذلك حجة لنا لأنه يقتل المشركين واليهود والدَّجّال[1]، ويَنْصُر دين محمد، ويقتدي بالإمام الحنفي.

والثاني: أنَّ نزولَ عِيسىٰ في آخر الزمان كما لا يَقْدَح في نبوة سائر الأنبياء، فلا يَقْدَحُ في نبوَّة محمدٍ عليه السلام، وعَدَمُ تغييره دِينَه[2] وأحكامِه / وشرائعه آيةُ حَقِّيَّة دين محمد.

ومنها قَوْلُهم إنَّ محمداً عوتب بالخصومة للخائنين[3]، والإِذن للمتخلفين[4] حديث زينب[5].

---

(١) الذي يظهر في آخر الزمان، وظهوره من أشراط الساعة.

(٢) أي دين محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الإسلام، لأن عيسىٰ عليه السلام لن يأتي بعد نزوله بدين جديد.

(٣) في هامش الأصل المخطوط حاشية هي: [في قوله تعالى: ولاتكن للخائنين خصيماً]، وهذا في الآية: ١٠٥ من سورة النساء.

وقد ذكر ابن كثير سببين لنزول هذه الآية، والسبب الأول ليس فيه ـ على ما يبدو ـ عتاب للرسول صلى الله عليه وسلم، إذا لم يكن خصماً لأحد الخائنين، أما السبب الثاني فهو أن درعاً لأحد المسلمين سرقت في بعض الغزوات، فاتهم بسرقتها رجلاً من الأنصار اسمه طعمة بن أبيرق، وأتى صاحب الدرع رسول الله وقال: إن طعمة سرق درعي، فلما رأى السارق ذلك عمدَ إلى الدرع فألقاها في بيت رجل بريء، وأخبر بذلك نفراً من عشيرته، فذكر هؤلاء النفر ذلك إلى رسول الله فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه فإنه إن لم يعصمه الله بك هلك فقام رسول الله فبرأه وعذره وعلى رؤوس الناس فأنزل الله هذه الآية (انظر مختصر تفسير ابن كثير ١/٤٣٣).

(٤) وذلك في الآية: ٤٤ من سورة التوبة، قال الله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ بعد أن أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لنفر طلبوا الإذن منه للتخلف عن المشاركة في غزوة تبوك، وهنا بدأ الله تعالى بالعفو وثنى بالمعاتبة، ثم رخص له الله تعالى بالإذن لمن يشاء في الآية: ٦٢ من سورة النور، قال تعالى: ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾.

(٥) وذلك في الآية: ٣٨ من سورة الأحزاب: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه، وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك، واتق الله، وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه. فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً، وكان أمر الله مفعولاً﴾.

والآية الكريمة في زيد بن حارثة مولى الرسول وزوجته زينب التي تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن طلقها زوجها زيد، وهو الذي أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه الرسول بالعتق من الرق.

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن زلّات الأنبياء لا تمنع صحة نُبوَّتِهم، كعصيان آدم[1]، وهفوة داود[2]، وسليمان[3]، وموسىٰ[4].

الثاني: أنَّ تنبيه الله تعالى محمداً فيما بَناه على ظَنِّه دليلٌ على مزيد اعتنائه، وتحصيل الألطاف الإلهية والمقربة في حقه.

والثالث: أن عين هذا العتاب يدلُّ على صدقه، لأنه لو كان مُرائِياً مزوِّراً كذاباً لأخفى هذا العتابَ، وما أظهر عَوَارَه[5].

ومنها قولهم: عيسى عَمِلَ بالكتابين والشرعين.

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن عيسى إن كان عَمِلَ بالكتابين محمدٌ عَمِل بجميع الكتب والشرائع، لأنَّ عيسى إنما عَمِلَ بدين موسىٰ في حَقِّ الأحكام المشتركة بين جميع الأديان المشتركة الحقة.

والثاني: أن تخصيصَ النبيِّ والرسول بأحكامٍ دليلُ فَضْلِه، وأَوْقعه في موقع الحاجةِ[6].

ومنها قَوْلُهم: محمدٌ كان أُمِّياً[7] وعيسىٰ قارئاً.

والجواب من وجهين:

---

(١) بين سطور الأصل المخطوط: [في الأكل من الشجرة].

(٢) في الحكم بين المتخاصمين الذين تسوروا المحراب، ولأحدهما تسع وتسعون نعجة، وللآخر نعجة واحدة وقد جاء ذلك في الآيات ٢١ـ٢٥ من سورة ص .

(٣) بين سطور الأصل المخطوط: [في خطبة المرأة المشهورة].

(٤) في هامش الأصل المخطوط: [في قتله القبطي].

(٥) العَوَار: العيب، والخرق.

(٦) لعل المراد أن الله تعالى أوقع هذه الأحكام الخاصة بهذا النبي أو ذاك في الموقع المحتاج إليها.

(٧) الأمي: الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، فكأنه كيوم ولدته أمه.

أحدهما: إن كونَه أُمِّيّاً علامةُ نُبُوَّتِه في كُتُبِ اللهِ السالفة، وكان دليلاً على حَقِّيَّةِ رسالتِهِ.

والثاني: كونُه أُمياً دليلُ إعجاز القرآن وكَوْنُهُ من عند الله تعالى من وجوه:
أحدها: الإعجازُ من حيثُ النظمُ والمعنى الذي لا يتأتّى إلا من العلماء المَهَرَةِ الواقفين على وجوه البلاغةِ، وكلام الأوَّلين.

وثانيها: الإخبارُ عن الأمور الماضية بتفاصيلها، مع كونِهِ أمياً عاجزاً عن مطالعة الكتب.

وثالثها: الإخبار عن المُغَيَّباتِ، وكان كما أَخْبَر، مع كونه أُمِّياً بَعيداً عن علم النُّجُوم والرَّمْلِ ومطالعةِ الكتبِ السماويةِ.

والجوابُ الثاني عن أصل السؤال: إنه دليلُ صِدْقِه، وزيادةُ العناية الإلهيةِ في حقه فإنـه بلغ من علم التـوحيد، والعدل، والشرائع، وعلوم الدنيا والدين، والرياسةِ، والسياسةِ، ومكارمِ الأخلاق مبلغاً لم يَبْلُغْهُ أَحَدٌ قَبْلَه ولا بَعْدَه، مع كونه أمياً فكان أولى بالاتِّباعِ.

ومنها قولهم: العَرَبُ محتاجون إلى بِعْثَةِ الرسولِ دونَ أهلِ الكتابِ، لاستِغنَائِهِم بكتابهم.

والجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنه يَحتاجُ الكُلُّ لِيَعْرِفوا خصائصَ شرائعِ الله اللائقةِ بِهذا العَهْد.

الثاني: إنَّ حاجةَ أهل الكتاب إليه أكثرُ لأنهم كانوا يتيهون في مَهامِهِ الضلالة[1]، مُتَحَيِّرين في ظُلُماتِ الجهـالـةِ لتحـريفِ أَئِمتهم أحكـام التـوراة طمعـاً في الـرُّشـا والسُّحْت[2]، أو عِنـاداً أو اتِّباعاً للهوى، فاحتاجوا إليه لِيُخْرِجَهم من الظُّلُماتِ إلى

---

(١) المهامه، جمع مَهْمَه: البلد المقفر، والمفازة البعيدة.

(٢) الرشا: جمع رشوة (مثلثة الراء): ما يعطيه المرء للحاكم أو غيره لنيل ما يريد.
والسحت: الحرام وما خَبُث من المكاسب.

النور، ويُنْقِذَهُمْ من الدَّمار والثُّبور[1].

الثالث: أن كتاب محمد عليه السلام كان مُصَدِّقاً لِما بين يديه من الكتب[2] وكان ناصراً لهم على أعدائه المشركين، فكانوا أحوج إليه من العرب، لكنَّ الشيطان استحوذ عليهم[3] فأصَمَّهم، وأعمى أبصارَهم.

ومنها قَوْلُهم: إنَّ النبيَّ المُبَشَّر بلسان موسىٰ وعيسىٰ أحمد[4]، وإنَّه مُحمدٌ[5]، فالمُدَّعي غيرُ المبشَّرِ به، والمبشَّرُ به غيرُ المدعي.

والجواب من وجوه:

أحدها: أنه كان له أسماءٌ كثيرةٌ وألقابٌ متعددة،فاسمه محمدٌ، ولقبه أحْمَدُ، وإنه في السماء أحمد، وفي الأرض محمد. كعيسىٰ له أسماءٌ كثيرةٌ، وألقابٌ، فكان يسمىٰ مسيحاً ورُوْحاً وكلمةً ونحوَها. فكما لا يَبْعُدُ أن يُدْعى بالمسيح غيرُ اسم عيسىٰ، فكذا لم يَبْعُدْ أن يكونَ اسمُه محمد، ولَقَبه أحمد.

الثاني أن كلَّ أهل الكتاب يقول علماؤهم[6]: إنَّ خاتم الأنبياء، والمبشَّر به أحمدُ يقول إنه محمد أيضاً، ولا يُنْكِرُه.

الثالث: أنَّ محمداً مع وُفورِ عَقْله وغايةِ فِطْنَتِهِ وذَكائِهِ احتجَّ بهذه البشارة على علماء أهل الكتابَيْن، وكم تلا عليهم ﴿ومُبَشِّراً برسولٍ يأتي مِنْ بَعْدي اسْمُه أحمدُ﴾[7]، ولم يقل منهم أحدٌ بأنك محمدٌ، والمبشَّر به أحمد فسكوتُهم عند احتجاجه، وعدمُ إنكارهم حُجَّتان قطعيَّتان أن المعنيَّ بهما واحد؛ «وكان لِنَبِيِّنا أربعونَ اسماً مذكوراً في كُتُبِ اللهِ المُنْزَلَةِ.

---

(١) الثبور: الهلاك.

(٢) في الأصل: [الكتب] وهي زلة قلم.

(٣) استحوذ عليهم الشيطان: غَلبهم، واستولى عليهم.

(٤) أي: اسمه أحمد.

(٥) أي: واسم نبيكم محمد.

(٦) المراد: إن كل من يقول من علماء أهل الكتاب . . .

(٧) في الآية السادسة من سورة الصف.

ومنهـا ما سمعتُ بعض أَئِمَّتِهِمُ الجَهَلَةِ يقول: كان عيسىٰ رأساً، ومحمدٌ قَدَماً، والرأسُ مُقَدَّمٌ على القَدَم[1].

فقلت: الرأسُ آدمُ، وعيسىٰ كان كَعْباً، ومحمدٌ قدماً، وقِوامُ البدنِ بالقدم. فكان أَوْلى.

الثاني: أن التقدم لو أوجب الاتِّباع لَلَزِمَكَ الأخْذُ بِدِيْنِ موسىٰ وإبراهيمَ دون دين عيسىٰ.

ومنها قَوْلُهم: في شرائع محمدٍ مالا يَقْبَلُه العَقْلُ، كأفعال الحجِّ والعُمْرَةِ والأُضْحِيَّةِ يومَ النَّحْرِ، ووجُوبِ الدِّيةِ على العاقلة[2]، وثُبوتِ النَّسَبِ في امرأةِ الغائبِ سِنِيْنَ.

الجوابُ عنه من وجوه:

أحدها: لا نُسلِّم بأنَّ في شرائعِ محمدٍ مالا يَقْبله العَقْلُ.

وأما أفعالُ الحجِّ فقد تعلَّق بها مصالحُ تذكيرِ الخُروجِ مِن الدنيا عُرياناً مُكَفَّناً، تاركاً أهْلَهُ ومالَه وذُرِّيَّتَه وعامةَ الأقارب وأبناء جِنْسه فيما لا يُمْكِنُ أن يتحمَّلَهُ الإنسان غالباً، فَقَبِلَهُ عَقْلُ كلِّ إنسانٍ[3]. واستيجاب الأُضْحِيَّةِ سَبَبٌ إلى التصدُّق والإحسانِ، وإنَّه أوْفَقُ للعقل من إحراق القَرابين[4]، وتَضْييعها وحرمان الفقراء والمساكينِ بإحراقها.

---

(١) مثل هذه الكلام لا يليق بحق أي إنسان، وخارج عن الأدب، فكيف بالأنبياء؟ عليهم صلوات الله ورضوانه أجمعين.

(٢) العـاقلة: القرابة من قبل الأب الذين يدفعون دية القتل الخطأ الذي يرتكبه فرد، وهي صفة جماعة عاقلة. (انظر تفصيل ذلك في لسان العرب ج١١ ص٤٦٠-٤٦١ ـ مادة عقل) ومن معاني العقل أيضاً: الدية.

(٣) هذا بعض حكم الحج، وفيه حكم أخرى كثيرة بالغة، ليس هذا مقام ذكرها.

(٤) القرابين: جمع (قربان) وهو مايتقرب به إلى الله تعالى.

وتقـديم القـرابـين أمر معروف في الشرائع السماوية والأرضية كتقديم هابيل أبكار غنمه، وافتداء إسماعيل بذبـح عظيم، وأقـر الإسـلام فكـرة التضحية تكفـيراً عن معصية أو تقصير ما، أو معونة للمحتاجين، كالأضحية يوم النحر وغير ذلك. وفي الديانات الطبيعية قد تصل القرابين إلى حد إزهاق النفس وحرق الزرع.

فأما في إثبات الولدِ للفِراش حكمةٌ بالغةٌ من صيانةٍ للأعْراض، وعَدَمِ اشتباه الأنساب، ونَفْيِ التخاصُم بسببه.

على أنَّ من قضايا العقولِ أن يكونَ الجُزْءُ تابعاً للكُلِّ، والفرعُ تالياً للأصل. والأمُّ لما كانت ملكاً[1]، للغائب بسبب النكاح، فكذا الوَلَدُ مُلْكٌ له مُلْكَ الوِلاية والاستخدام بطريق التَّبَعِيَّةِ.

والثاني: أنه تعلَّقَ بجميع هذا مصلحةِ التعبُّدِ والانقيادِ للأوامر الربانيةِ على غَيْرِ الوقوف على مصالحها[2]، ثِقَةً بحكم أحكم الحاكمين.

والثالث: أن الحج وأفعالَه، والدِّيةَ على العاقلة، والقَرابينَ، والمناسك مشروعةٌ في كافة المِلَلِ الإسلامية[3] فَدَلَّ على حُسنها، والحِكَمُ الربانية لا تدرك أدنى غاياتها عقول العقلاء، ولا تَقِفُ على أسرارِها أوهامُ الألبّاء.

على أنَّ هيئات العبادات والطاعات في ديننا أوْفَقُ للعقول السليمة وأقرب من الطباع المستقيمة مثل الأذانِ بكلماتِ العَظَمَة والكِبْرياء، والشهادةِ بوحدانيةِ رَبِّ الأرضِ والسماءِ، وحَقِّيَّةِ رسولِهِ، والحثُّ على الفلاحِ وطاعتِهِ دَوْنَ ضَرْبِ خَشَبَةٍ[4] تمجه الأسماع وتنبو عنه الطباع، ومثل شَرْعِيَّةِ المبالغةِ في التطهير والتنظيف والإنْقاءِ والاستنجاءِ بالحَجَرِ ثم بالماء، ومثل الاغتسال من الجَنابة والحيض والنِّفاس، والغَسْلِ لمجامعِ الناسِ كالجمعة والعيدين، وللإحْرام، ومثل السِّواك، والمضمضة والاستنشاق لذكر الله تعالى باللسان، وروايةِ الأحاديث، وقراءةِ القرآن؛ ومثل تفريقِ الصلوات في أوقات الليلِ والنهارِ، وشَرْعِيةِ أذانها في الفَلَوات والقُرى والأمصار[5]، واستجماعِها

---

(١) في الأصل المخطوط: [لما كان] وظاهرٌ أن المراد هنا ملك الولاية كما سيأتي، لا ملك الرقبة.

(٢) أي دون أن يقف المرء على المصلحة التي أرادها الله من فرضها.

(٣) لعله يريد الشرائع السماوية التي أوحى بها الله تعالى إلى رسله.

(٤) في هامش الأصل المخطوط حاشية نصها: [وهو كالنا قوس وخشبة النداء].

(٥) الأمصار: جمع (مصر)، والمصر: البلد. وقديماً كانت العرب تطلقه على الكوفة والبصرة (المصران).
والمصر في الاصطلاح: كل منطقة أو بلدة تقام فيها الحدود الشرعية، ويُقسم الفيء من الصدقات من غير مؤامرة الخليفة، أي دون الرجوع إليه، لوجود قاضٍ. =

لأعمالِ القلوب واللسان والأركان، والتسبيح، والتهليلِ، والتحميدِ، والتكبيرِ، والتقديس، والتمجيدِ، والخشوعِ، والخضوعِ، في القيام والقعود والسجود والركوع.

وفضائل هذاالدين أكثر من أن تُعَدَّ وتُحص ، وأجَلُّ من أن تحدّ وتُسْتقصى ، وطُوبى لعبدٍ آثر هذا الدين المُبين ، واختار الوسيلة إلى السعادة العظمى بالشرع المتين، وانتظم في سِلكِ خير الأمم، وفاق بإسلامه الحقيقيِّ كافَّةَ العَرَبِ والعجم، مثلِ السلطان بركة خان ثَبَّتَ الله قواعدَ مملكته في الدارَيْن، بالظَّفَرِ والعَدْلِ والإحسانِ ورَزَقَه في العُقبىُ أعلى الفراديس والجنان.

تمت الرسالة الناصريةُ باسمه الميمون
يوم السبت الواحد والعشرين من جُمادى
الآخرة سنة ٦٥٨(*)

= (انظر لسان العرب ٥/١٧٦ ـ مصر، ومعجم متن اللغة).

(*) بعد هذا في الأصل المخطوط: [ووقع الفراغ من كتابته في صفر الخير سنة ٩٩٤].

الفهـــــرس

المصادر والمراجع

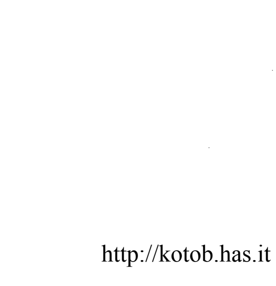
* القرآن الكريم.
* الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني / مطبعة مصطفى محمد / مصر/ ١٩٣٩م.
* الأعلام لخير الدين الزركلي / الطبعة الثالثة والطبعة الرابعة.
* الإعلام بتاريخ أهل الإسلام لابن قاضي شهبة / مخطوطة مكتبة فيض الله / الجزء الثالث.
* تاج التراجم لابن قطلوبغا /مكتبة المثنى / بغداد / ١٩٦٢م.
* تاريخ الأدب العربي لبروكلمان / الطبعة الألمانية / ليدن / ١٩٣٧م.
* تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
* تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الغوطي / تحقيق الدكتور مصطفى جواد / الجزء الرابع / منشورات وزارة الثقافة / دمشق / ١٩٦٢م.
* الجواهر المضية للقرشي / ط١ / حيدراباد / ١٣٢٣هـ.
* دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي / دار المعرفة / ط٣ / ١٩٧١م.
* السيرة النبوية لابن هشام / تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي / ط٢ / ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.
* سيرة ابن سيد الناس (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) / دار الجيل / بيروت / ط٢ / ١٩٧٤م.
* سير أعلام النبلاء للذهبي / طبعة مؤسسة الرسالة.
* الطبقات الكبرى لابن سعد / دار بيروت / ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م.
* فهرس مخطوطات دارالكتب القطرية.
* فهرس المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات العربية بالكويت ـ الفقه وأصوله ـ صنعة عبد الحفيظ منصور وعباس كنه ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.
* فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ المجاميع ـ وضعه ياسين السواسى ـ منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق / ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.

* فهرس مكتبة حسن حسني عبد الوهاب.
* فهرس مخطوطات المكتبة الإسلامية في يافا.
* الفوائد البهية للكنوي / ط١ / ١٣٣٤هـ .
* فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي / المكتبة التجارية الكبرى / ط١ / ١٣٥٦هـ = ١٩٣٨م.
* القاموس المحيط للفيروزابادي.
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة / بعناية وكالة المعارف / ١٣٦٠هـ =١٩٤١م.
* متن اللغة (معجم) لأحمد رضا / دار مكتبة الحياة / بيروت / ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م.
* مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني / المكتب الإسلامي / ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م.
* معجم البلدان لياقوت الحموي / دار صادر/ دار بيروت / بيروت /١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.
* معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إليان سركيس / مطبعة سركيس / مصر ١٣٤٦هـ = ١٩٢٨م.
* معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة / مطبعة الترقي / دمشق / ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م.
* مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاشكبري زاده / مراجعة وتحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور / دار الكتب الحديثة / مصر.
* الموسوعة العربية الميسرة / دار القلم ومؤسسة فرانكلين / بإشراف محمد شفيق غربال / القاهرة ١٩٦٥م.
* النهاية في غريب الحديث لابن الأثير تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي / دار إحياء الكتب العربية.
* هدية العارفين - أسماء المؤلفين والمصنفين لإسماعيل باشا البغدادي / ط٣ / ١٣٨٧هـ = المكتبة الإسلامية/ طهران.

كتب أخرى للمحقق

- البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزابادي / تحقيق
  الطبعة الأولى ـ دمشق ـ منشورات وزارة الثقافة ـ ١٩٧٢م .
  الطبعة الثانية ـ الكويت ـ منشورات مركز المخطوطات والتراث ـ ١٩٨٧م .
- المعاصرون لمحمد كرد علي / تحقيق / منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠م .
- الكليات لأبي البقاء الكفوى ـ تحقيق بالاشترك مع الدكتور عدنان درويش ـ ٥ أجزاء
  الطبعة الأولى ـ دمشق ـ منشورات وزارة الثقافة ـ ١٩٧٥م .
  الطبعة الثانية ـ دمشق منشورات وزارة الثقافة ـ ١٩٨١م .
  الطبعة الثالثة ـ مؤسسة الرسالة ـ تصدر سنة ١٩٩١م .
- الأوائل لأبي هلال العسكري ـ تحقيق بالاشتراك مع الدكتور وليد قصاب ـ جزءان
  الطبعة الأولى ـ دمشق ـ منشورات وزارة الثقافة ـ ١٩٧٥م .
  الطبعة الثانية ـ الرياض ـ دار العلوم ـ ١٩٨٠م .
- من الأوائل لأبي هلال العسكري ـ مختارات منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٨٣م .
- الأشباه والنظائر، المنسوب للثعالبي ـ تحقيق ـ دمشق ـ دار سعد الدين ١٩٨٤م .
- فهرس المخطوطات العربية المصورة المحفوظة في وزارة الثقافة بدمشق ـ بالاشتراك مع الدكتور عدنان درويش ـ ١٥ نشرة ـ تعريف بزهاء ١٠٠٠ مخطوط صدرت قبل سنة ١٩٨٠م .
- مناهج التأليف عند العرب في مقدمات كتب التراث العربي ـ الجزء الأول ـ فيه ٥٠ مقدمة مختارة ومشروحة ـ منشورات دار المنارة ـ جدة ـ ١٩٩٠م .
- القوافي لعلي بن عثمان السليماني ـ تحقيق ـ صدر في الرياض سنة ١٩٩٠م .
- الديوان الدمشقي ـ شعر قيل في دمشق قديماً وحديثاً ـ جمع وتصنيف وشرح ـ صدر في دمشق سنة ١٩٩١م .

- جوانب الإنسانية في شعر حافظ إبراهيم مخطوط.
- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لأبي سليمان محمد بن عبد الله زبر الربيعي وثبت عبد العزيز الكتاني وزيادات هبة الله بن الأكفاني - تحقيق منشورات مركز المخطوطات والتراث - الكويت ١٩٩٠م.
- الأندلس من نفح الطيب للمقّري (اختيارات وشرح) بالاشتراك مع الدكتور عدنان درويش - صدر عن وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٩١م.
- مختصر لألىء العرب (معجم للمعاني) لسامي رزق - تحقيق بالاشتراك مع الدكتور عدنان درويش وعلي أبو زيد - صدر الجزء الأول عن وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٩١م.
- معجم الوراقين - تحت الطبع.


http://kotob.has.it